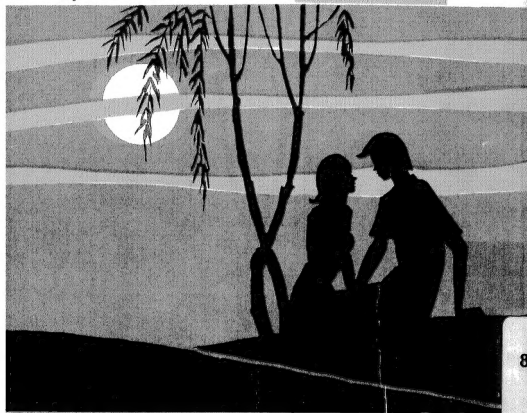




أمين يوسف غراب

يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم



حدث في الليل فقط!

## كتاب اليوم

ثقافة اليوم وكل يوم

تصدر عن مؤسسة اخبار اليوم

العدد ١٧

ذو القعدة ١٣٨٩ - فبراير ( شباط ) ١٩٧٠

الإدارة : دار اخبار اليوم ٦ شارع الصحافة القاهرة

٧٧٧٧٧ ( سبعة خلوط )

## الاشتراكات

### البريد العادى :

مليمج

المجموعة الاولى :	١٠٠٠ ر	ج ٠٠٠٠ م واتحاد البريد العربى
المجموعة الثانية :	١٥٠٠ ر	باقى دول العالم

### البريد الجوى :

مليمج

المجموعة الاولى :	١٢٥٠ ر	( سوريا - لبنان - الأردن )
المجموعة الثانية :	١٥٠٠ ر	( دول اتحاد البريد العربى )
المجموعة الثالثة :	٣٠٠٠ ر	( دول أوروبا )
المجموعة الرابعة :	٥٥٠٠ ر	( أمريكا الشمالية - الهند - دول جنوب افريقيا )
المجموعة الخامسة :	٦٠٠٠ ر	( كندا - الهند - اليابان - السويد )

أهداءات ٢٠٠١

٧٧٧٧٧

٧٧٨٦٠

ترسل القيمة الى :

أ. صلاح راتب

القاهرة

مطابع الاشتراك

أمين يوسف غراب

# يحدث في الليل فقط!

كتاب اليوم  
يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم

الفلاف بريشة الفنان حسين بيكار

٢

الرسوم الداخلية بريشة سعيد عارف

# رياء



الكأس عندما تمتلئ .. ننتشي ..  
نرتوى ..  
والكأس عندما تفرغ .. يجرقنا الظما  
نكتوى ..  
أنا كأس .. لا تفرغ .. ولا تمتلئ ..  
لا تروى .. ولا تكوى ..  
إنها تحطمت ..  
غدت أشلاء كأس ..  
بقايا كأس ..  
فقط .. فقط .. كانت لي كأس ..

أمين يوسف غراب



# حدثني في الليل فقط!



كنت أودع صديقي لطفى في ميناء القاهرة  
الجوى هو وزوجته المريضة التي قرر الأطباء  
منا ضرورة علاجها في مصحة خاصة بضموا  
لندن، واختلطت دموع الأمل بالأسى والحزن  
والدعاء الى الله أن يشفى كل مريض وأن يبرد  
كل غائب الى وطنه وكنت أنا أسير بجواره صامتا يكاد يمزقني 'للم  
والحزن على هذه الزوجة الشابة التي مازالت في عمر الزهور ، والتي  
كانت كالوردة المتفتحة يتضوع شذاها وكيف أحالها المرض الى  
هذه الورقة الجافة • والى هذا الوجه الأصفر الشاحب الذي يشبه  
في سفرته وجه ميت •

وكنا أنا وطفى قد بلغنا مقدم سلم الطائرة • فمال على ويس  
فى أذننى وهو يخرج شيئا من جيبه ويدسه فى يدى سرا •

- أعرف أنك تتردد كثيرا على الاسكندرية وهذا هو مفتاح  
مسكنى الخاص ولا تنس كلما ذهبت الى الاسكندرية أن تذهب الى  
هناك وأن تدفع الايجار نيابة عنى حتى أعود •

وانتظرت أن يقول لى شيئا آخر ولكنه أمسك عن الحديث فهممت  
أن أقول له شيئا وأنا أضغط على المفتاح الصغير الذى فى يدى  
وأخفيه كما لو كان أصبعا من الديناميت ولكن قبل أن أنطق كانت

الزوجة قد أقبلت ووضعت ذراعها الهزيلة فوق كتفه واستندت إليها ووضع هو ذراعه حول خصرها وأسندها إليه حتى يعينها على صعود السلم ومن ثم راح يصعد معها بالفعل درجة بدرجة وقدمًا يقدم • وهى مستندة إليه والبكاء والنحيب يتعالى من حولها كما لو كنا فى جنازة وسلم الطائرة هو النعش الذى يشيع الاثنين الى مقرهما الاخير • وكان المنظر يبعث على الحزن حقيقة فبكيت ولما أخرجت المنديل من جيبى لأجفف دموعى اصطدمت أناملى بالمفتاح فتذكرت على الفور ماكنت أريد أن أقوله للطفى ووقفت مرتبكا غاية الارتباك • انه أعطانى مفتاح ممكن له فى الاسكندرية وطلب منى أن أدفع الاجار نيابة عنه ولكن أين هذه الشقة التى مفتاحها فى جيبى وما هو عنوانها حتى أذهب إليها وأدفع ايجارها وازددت ارتباكًا عندما رأيته يتوسط منتصف السلم ولم يبق غير درجتين ثلاث ويدخل مع زوجته ويغلق باب الطائرة • ووجدت أنه من الضرورى أن أفعل شيئًا فلم أجد غير الاعتماد على ذكائه وان كنت كثيرا ما أشك فيه ومع ذلك هتفت به وهو فوق السلم وقلت :

— انك لم تكتب لى العنوان حتى أكتب اليك •

فرد على الفور وهو يشير الى والدته الزوجة التى كانت تنتحب بجوارى :

— العنوان عند حماتى

فهمت ثانية وأنا أتميز من الغيظ :

— أريد أن تكتب لى أنت

ولما أخرج من جيبه ورقة وقلمًا وراح يكتب وهو يحاول أن يخفيها عن زوجته أمنت بذكائه ولكن هذا الايمان سريعا ما انقلب الى الحاد وذلك عندما قال وهو يلقي بالورقة الى — العنوان قرية ريتشموند بضواحي لندن • مصحة الدكتور بيفن — ومن ثم دخل الطائرة وأغلق الباب وبدأ محرك الطائرة يعدو وتستلم هديره الأذان •

فانحنيت فى غيظ لا حد له وتناولت الورقة التى كانت لاتزال عند قدمى وهممت أن أمزقها وأحيلها نتفا بين أصابعى ولكن كان بها عنوان المصحة وكانت والدته الزوجة لاتزال تبكى بجوارى فواسيتها حتى سارت بجانبى مع بقية الأهل حتى غادرنا مبنى المطار ولما انفردت بنفسى فى السيارة عرفت أن الغبى هو أنا لأننى عندما قرأت الورقة لم أجد مصحة الدكتور بيفن ولا اسم قرية ريتشموند • وانما



وجدت اسم شارع النزهة برمل الاسكندرية وعنوان ورقم الشقة حتى اسم الباب وجدته مكتوبا ورغم اننى اطمأنتت بعد ذلك ودونت العنوان فى مفكرتى خشية ان تضيع الورقة فقد ذهبت الى الاسكندرية اكثر من مرة ولكنه لم يخطر لى على بال ان اذهب الى هذه الشقة او حتى ان اعرف موقعها فقد كانت مشاغلى كثيرة . ودائما ماكنت اعود فى نفس اليوم او على الاكثر اعود فى اليوم الثانى واذا اضطررت للمبيت فكنت دائما انزل فى فندق كاليثيا وهو قريب من عملى الى ان ذهبت ذات مرة الى الاسكندرية وكنت بحكم العمل سامكت بها ما يزيد على الاسبوع وكنا فى بداية الشهر ايضا . فرأيت ان اذهب الى الشقة لكى ادفع الايجار على الأجل . ولما ذهبت الى هناك دهشت دهشة كبيرة فقد كانت العمارة غاية فى الفخامة وكان مدخلها يبعث على البهجة ونظرت اول ما نظرت الى صناديق البريد الانيقة التى كانت على الجانب الايسر من المدخل الكبير وبحثت عن الصندوق رقم ٤١ وهو رقم الشقة فرأيت يكلل يكون الصندوق الوحيد الذى لا يحمل اسم صاحبه .

ولما صعدت الى الشقة وفتحت الباب وقفت مبهورا انظر الى الجمال والأناقة التى تحيط بى فقد كان الرياش فاخرا تنبعث منه رائحة النعمة والثراء وايضا الذوق .

حقيقة كانت الشقة جميعها لاثريد على غرفة نوم واحدة وصالة ومدخل صغير يستقبلك فيه عندما تفتح الباب تماثلان كبيران لامراتين عاريتين تحمل كل واحدة فى يدها مصباحا صغيرا كأنها تبحث عن حقيقة ضائعة فى ثنايا جسدها العارى . وتخفى بيدها الثانية ثديا تكرر داخل راحتها الحانية عليه . ويمثل هذه اللمسات التى تدل على ذوق فنان كانت فخامة الصالة ورياشها وتسقيفها . وكذلك ايضا غرفة النوم التى كانت تشبه فى فخامتها ورائحتها غرفة نوم ملكية رغم انه ليس بها غير سرير غرقى فى احدى الزوايا فى قلب الستر الحريرية التى تحيط به . وسجادة دائرية صفها بلون الورد الاحمر ونصفها الآخر بلون شراب الاناناس وكانت أغلب جدران الغرفة ولعلها جميعها مغطاة بمرايا بللورية ناعمة الصفاء . وما أن لمست بعض مقابض هذه المرايا حتى عرفت انها لم تكن غطاء للحائط فقط وانما هى ايضا اغطية لدواليب عميقة داخل الحائط بها الكثير من الحاجات التى يحتاج اليها الرجل . والكثير ايضا من الحاجات التى تخص المرأة .

ووقفت مأخوذا اطلع الى هذا الجمال كله . وبالذات جمال

المشرفة الكبيرة التى تطل على ميدان فسيح • والتى تشببه فى موقعها الجميل أرجوحة معلقة فى الهواء فلم املك الا أن أحسد لطفى الذى لم أكن أعرف أيضا أن له أية مغامرات • ووقفت أقارن بين هذا المسكن الجميل وبين الغرفة التى اعتدت أن احتجزها فى فندق كاليثيا كلما جئت الى الاسكندرية ، وكيف أننى فى كثير من الميالى كنت أنهض مذعورا على صوت صفعات تنهال على انسان فى الغرفة المجاورة لى وما أن أنصت لحظات حتى أعود وأسحب اللغطاء على وجهى وأتركه يفعل كما أفعل أنا أيضا كل ليلة اذ أضرب أو أقتل أكثر من صرصار بالشيشب •

وعلى الفور استقر رأى ولم أتردد فى قضاء بقية أيام الاسبوع الباقية لى فى الاسكندرية فى هذا العش الجميل • وبالفعل أدبرت الثلاثرة وقتحت بعض النوافذ • وبتفكير غير مسبق ولاسبب كنت أعنيه وجدتنى أرفع سماعة التليفون • ومن ثم غادرت الشقة وذهبت الى فندق كاليثيا لأحضر حقيبتى من هناك تغمرنى فرحة لا أعرف الباعث عليها •• تماما كما كنت لا أعرف الباعث الذى دفعنى الى رفع سماعة التليفون • ولكنى عندما فكرت عرفت أن العقل الباطن أحيانا يفكر بخبث لأننى أدركت على الفور لماذا رفعت السماعة •• ان هذا المسكن الخاص فى الاسكندرية وصاحبه لطفى يقيم فى القاهرة وهو لا يتردد عليه كثيرا ولا يتردد عليه فى اوقات منتظمة ولذلك فهو لا يتصل بصديقاته فى اوقات منتظمة ولا يتصل بهن الا اذا جاء • وهن أيضا لا يتصلن به فى اوقات منتظمة ولا يتصلن به الا اذا جاء • ولا يعرفن بذلك الا اذا ضربن له التليفون فاذا لم يجب أحد فهو غير موجود • أما اذا أجاب فقد انتهت الامر اما اذا ظل التليفون مشغولا فاذن هو موجود • والذين سيوالين الاتصال به مرة ومرات حتى يجيب ••

وسرنى هذا الذى فعلت وسرنى أكثر ما اكتشفته فى نفسى فجأة فأتنا الى لحظات قصار كنت أتهم عقلى الباطن بالخبث فاذا بهذا الخبث يتكشف لى عن هذا الذكاء الكبير •

وبسرعة كنت قد صفت حسابى مع فندق كاليثيا وحملت حقيبتى وعدت الى العش الجميل وبينما أنا ادخل العمارة التقيت بالبواب وكان يحمل بعض الحقائق لأسرة مسافرة وبعد أن وضعها فى سيارة مرسيدس صفراء انتظرت حتى ركبت الأسرة : زوج وزوجة وثلاثة أطفال وخلص البواب من مهمته فاستدعيته وعرفته بشخصى وصلى بلطفى فرحب ترحيبا كبيرا فأنقذته مبلغا من المال ليشتري

لى أشياء كثيرة : زيتون وجبن ومربى وزبد وما الى ذلك مما  
سأحتاج اليه . وكنت أنا قد أحضرت معى زجاجة من الشراب  
الذى أحبه ومن ثم صعدت سريعا الى الشقة وكان أول شيء فعلته  
أنتى أعدت سماعة التليفون الى مكانها وكانت الساعة قد قاربت  
الثامنة مساء وكان الجو مازال حارا فنزعت ثيابى وارقدت  
ثوبا منزليا خفيفا . وكان البواب قد جاء فوضعت كل ما أتى به  
فى الثالثة وغسلت بعض الاطباق ولا اذكر أنتى فعلت هذا من قبل  
ولا أيضا شعرت بمثل هذه السعادة وكلما انصت الى جرس  
التليفون أو نظرت اليه وترقبت رنينه ازدادت امالى وازدادت  
سعادتى .

ولما فرغت من كل هذا ذهبت الى الشرفة وجلست وبجوارى  
التليفون وأمامى الزجاجة والثلج وبداية ليل جميل ومن حولى  
ضوء الشرفة الخافت الذى يريح الاعصاب المثارة ويحيل ثورتها  
الى أمن وطمانينة وحلم لذيد . وأمامى فى الشرفة ميدان فسيح  
تتأرجح فى قلبه نسيمات كالعرائس وتقبيل على الشرفة تتهادى  
موجة اثر موجة . ورايت فيما رايت أمامى وحول الميدان الفسيح  
الكثير من العمارات الشاهقة والبنائيات الفخمة والفيلات الانيقة .  
كما رايت مصادفة فيما رايت وأمامى وقبالة الشرفة مباشرة .  
رايت دائرة واسعة من نور يتألق تدور حول شيء أو كائن شخصا  
هو الذى يدور حولها . وكانت الدائرة عالية جدا حتى لكانها  
معلقة فى السماء . ولما اتضحت لى الرؤية رايت شخصا بالفعل  
يدور فى قلبها وهو يردد بصوت رخيم عذب ترامى الى اذننى كصوت  
كروان وكان يترنل اسم الله ويذكر اسم رسوله فعرفت على الفور  
انه مسجد ورايت بالفعل ساحته وكانت غاصة بالمصلين . كما رايت  
بعض السابلة يهرعون من يمين ومن شمال وما أن يبلغوا الساحة  
ويدخلوا بعد أن ينزعوا أحذيتهم حتى يترتموا فى خشوع بين يدى  
الله يحولون ويستغفرون ويسألونه المغفرة . ورحت أتمعق الرؤية  
جيذا وأصغى فى متعة زائدة الى ذلك الصوت العذب وهو يردد  
اسم الله واسم نبيه . فشعرت برهبة . كما أحسست كأن الصوت  
لا ينساب فى اذننى وإنما ينساب فى كيانى، كما تنساب ابرة المخدر فى  
الشريان فترطب الجسد وتخدره وتجعله يهتز تلك الهزات الخفيفة  
الراعشة التى تنتهى بخلجة فى العين أو رجفة فى الجفن ثم تنفلق  
وتغيب سابعة فى السماء . وتناولت منديلا كان بجوارى وجفقت عرقا  
كثيرا كان يتصبب من وجهى . ثم بعد حين ابتسمت وابتسمت فى  
سعادة فاضت على كيانى كله وأنا أستشعر الرضا لأن الله لم يره

لى السوء الذى أردته أنا لنفسى هذه الليلة • اذ فتح عيني فى آخر لحظة على شر كنت سأتدلى فيه طول حياتى • • فانا لم أعرف النساء الا بعد أن تزوجت ومنذ الخمسة عشر عاما التى تزوجت فيها لم أعرف غير زوجتى ولم أحب سواها • حقيقة أن احدا لم يكن يصدق عني هذا • فمناظرى وطبيعة الحياة التى أعيشها تدل على العكس • فانا أحب الضحك وأحب السهر وأحب الأصدقاء وأحب مجاراتهم • وقد جاريتهم بالفعل فى بعض الأخطاء • قامرت ولعبت معهم الورق وراهننت على السباق وشربت الخمر • ثم عدت فأقلعت عن هذا كله • عن هذه العادات جميعا بعد أن وجدت أنها وبالها ما بعده وبال • • حقيقة أنني لم أستطع أن أقنع عن خطأ واحد وهو الخمر • ولكنى شذبت هذا الخطأ وروضته ولم أجعله يخضعنى له وانما أخضعته لى • كرجل شريف وكموظف له قدره • وكرب أسرة له احترامه • وهى أيضا لها احترامها فانا لا أشرب فى مكان عام • ولا أشرب نهارا ولا أشرب الا فى المناسبات • وان كان يحلو لى أحيانا وقبل أن انام أن أتناول كاسا وأتناولها سرا كما لو كنت أرتكب احدى الجرائم •

فكرت فى كل هذا ، وفكرت فيما كان سيحدث لى فيما لو ترديت هذه الليلة فى الهاوية •

وفى غمرة هذه الفرحة بالنجاة مددت يدى ورفعت سماعة التليفون حتى لا أسمع رنينه البشع الذى كنت من لحظات أود لو شنت به أذنى ، ومن ثم رحت أتعجب لمشاعري كبحر وكيف أن الشيء الذى أحيانا نتلهف عليه يكون هو نفسه الشيء الذى نخافه ونهرب منه ، وكيف أننا أحيانا لا نستهوينا الا نصل السكين الذى نذبح به •

لم أكن قد تناولت عشائى بعد ، فذهبت الى الملاحة وأعددت لى طبقا حافلا وعدت الى الشرفة وجلست أتناول عشائى فى هدوء وأشرب كاسى فى هدوء وأدخن أيضا فى لذة مابعد لها لذة ، فقد كانت السيارة هى حياتى ، وأحسست وأنا أدخن بشوق زائد الى بيتى وأسرتى ، والى زوجتى بالذات • • حتى وددت أن أرتدى ثيابى وأخرج الى الطريق فى هذا الوقت من الليل وأبحث عن تليفون عمومى وأتحدث اليها فقط وأسمع صوتها • •

ولما وجدت الموقف غير مناسب رحت والكاس أمامى اتعمق أشياء كثيرة ، وأفلسف أشياء كثيرة • • وأمد أيضا عيني فى الظلام الى أشياء كثيرة كانت أمامى • • فرأيت مرة أخرى الميسدان الفسيح والبنائيات الشامخة والفيلات الانيقة ، ورأيتها هذه المرة فى هدأة



الليل وقد فتحت بعض شرفاتها ونوافذها حينما على ضوء باهر تستطيع أن ترى على نوره بوضوح كثفا عارية هنا ، أو صدرا ناهدا هناك ٠٠ أو ترى لفظة من جيد في هذه النافذة ، أو هزة من ردف في تلك الشرفة ٠٠ كما رأيت أيضا بعض هذه الشرفات والنوافذ وهي تنغلق في الليل على ضوء خافت تستطيع أن ترى لونه المثير الابيض أو الاحمر من خلف الزجاج والستر الناعمة فيثير فيك اللون الكثير من كوامن الرغبة ٠٠ وكنت كلما وضحت الرؤية وتعمقت هذا الجمال وتخيلت أضواء كنوزه ، وتصنت في الليل على همسات الصمت الملتف بتلك الغرفة أو بتلك الشرفة كما يلتف الجسد بالغلالة الناعمة التي تحجب سره وتكشف عن مفاتيحه ٠٠ أحسست كأن همسات هذا الصمت في الليل تنصب في أذني كسيات تنهال فوق جسدي ٠٠ حتى أنني توجعت بالفعل ٠٠ ولما حاولت أن أشد نظراتي وأبعدها عن هذا الاذى لم أقدر ٠ مددت يدي ثانية وأعدت سماعة التليفون الى مكانها وجلست أنتظر ، وكلما طال انتظاري وشعرت بلسعات النار تحرقني ملأت الكأس وتبردت بها ، وظللت كذلك ولم أدر كم من الوقت قضيته في هذا العذاب ٠٠ الى أن دقت ساعة كبيرة كانت في الميدان دقتها الثانية صباحا ٠٠ فتناولت علبة سجائري ونهضت مشخن الجراح وغادرت هذه الشرفة اللعينة كما يغادر المحكوم عليه بالف جلد الساحة بعد تنفيذ الحكم ٠ ذهبت الى غرفة النوم واستلقيت أضمد جراحي فوق الفراش الوثير أشعل سيجارة من أخرى ، وأغمض عيني حتى لا أرى المرايا التي تحيط بي والتي ينعكس على صفحاتها الدقيق من الخيالات وينعكس في سحرية لاذعة تهزأ من هذا الفاشل الذي تعذبه الوحدة ويقتله الظلم ويفرى عظامه سوط الجلاد ٠٠ ومن طيلة ما أغمضت عيني أحسست بأنني أحلم أحلاما لذيدة ولعله كان الذها صوت جرس كان يشبه صوت جرس الباب يرن في أذني ، وكان لذة الحلم كانت دافقة ففتحت عيني سريعا وجلست القرقصاء في قلب الفراش ٠٠ أمسح على عيني وأمسح أيضا على أذني ٠٠ ولكن صوت الجرس الذي استمعت اليه في الحلم كان لايزال ينساب في أذني في اللحظة ، قدمشت وتصنت جيدا فإذا به بالفعل صوت جرس يرن في الليل ، ولكن صوته كان غريبا ، ليس هو بصوت تليفون ٠٠ وليس هو بصوت جرس البيت ، ولما نهضت وتوسطت الغرفة ترامي الرنين الى أذني أكثر وضوحا ، وازداد في الوضوح عندما توسطت الصالة ، وأذن هو حقيقة وليس حلما ، فمسحت على عيني ثانية وعلى أذني أيضا ٠٠ واقتربت من الباب الخارجى ووقفت خلفه مباشرة ولكنى

لم أر أحدا ، ومع ذلك ظل الرنين الذى يشبه النداء من بعيد أو  
الهمس فى الليل ظل ينساب فى أذنى ، ولكن من أين لأحدى .. ولما  
كنت أريد أن أعرف مددت يدي وفتحت الباب ، وما أن فعلت حتى  
رأيت أمام المسكن المقابل لى تماما سيدة فى مقتبل الشباب وبسمة  
العمر تقف فى قلب ضوء السلم الخافت وكأنها طلعة الفجر فى قلب  
الغيب ، وكانت تمد ذراعا عارية ازدهم بياضها فى ضوء عيني فلم  
أر منها غير أصبع كانت تضغط على زر جرس الباب الذى أمام  
مسكني ، وما أن رأيتنى حتى تضرع وجهها بحمرة كالشفق وقالت فى  
خجل تجاهد عينيها لتتنظر الى ..

— أسفة جدا .. اننى أئق الجرس على هذه الاسرة ..

فقلت وأنا أنظر الى حقائب سفر ثلاث كبيرة كانت حولها ..

— عفوا ولكن ..

فلم تجعلنى اتم ، وقالت وهى تمد أصبعها ثانية الى الجرس  
وتضغط عليه هذه المرة فى عنف ..

— كان المفروض أن أكون الآن فى بيتى فى القاهرة ولكن الباخرة  
تأخرت عن موعدها أربع ساعات ولم تصل الميناء الا بعد منتصف  
الليل فجئت الى اقاربى هنا لابقى عندهم حتى الصباح ..

فشعرت بحرج شديد وقلت وأنا أنظر ثانية الى الحقائب الضخمة  
التي معها ..

— ولكن أغلب الظن أن هذه الاسرة سافرت الليلة ..

ارتدت ذراعها فى دعر وكان الزر الكهربائى الذى كانت تضغط  
عليه ناب افعى انغرس فى أصبعها ، وقالت وهى تشهق :

— سافرت ؟

— رأيت زوجا وزوجة وثلاثة أطفال وبعض الحقائب توضع فى  
سيارة صفراء ، كما رأيت الزوج يغلق هذا الباب جيدا بالمفتاح ..  
فشحب وجهها الابيض الوردى حتى غدا بلون الاناناس ، وقالت  
وكانها تزفر :

— انها بالفعل خالتي وزوجها وعندهما ثلاثة أطفال وسيارة  
صفراء ..

ومرت لحظات قصار جدا وكانت أيضا فى نفس الوقت طويلة جدا  
نظرت هى خلالها الى ساعة كانت فى يدها وتمتمت بصوت كأنه أنات  
شباب أصابه سهم ..

— ١٠٠١ — السا ٠٠ عة الآن الثالثة والنصف ٠٠

وأحسست أن شيئاً كبيراً ضحماً اسمه الواجب يهز كيأني هذا عنيقاً  
ويحتج على أن أقول شيئاً وأن أقوله بصديق وأخلاص وأمانة ٠٠  
ولكن اتضح أن الواجب أيضاً يحتاج أحياناً إلى شجاعة كبيرة قد  
لا تقدر عليها في كل وقت ٠٠ لأنني ارتبكت وتلعثمت وتعلت شفتاي  
وغدتا كترس ماكينة بها عطب فلا تقوى على رفعهما ٠٠ وكأنها  
لاحظت ذلك ولكنها كانت أكثر مني شجاعة لأنها قالت وهي تنظر إلى  
دبلة ذهبية كانت في أصبعي :

— حضرتك متزوج ؟

— وعندي أولاد ٠٠

فقالت في فرحة زائدة وذلك الشحوب الذي كان يكتنف وجهها  
الابيض الوردي أخذ في التلاشي :

— إذن هل تسمح السيدة زوجتك في أن أقضى معها هذه الساعات  
الباقية على النهار ؟

فتعلت شفتاي ثانية ولم أنطق ٠٠ فقالت وقد ظنت كل شيء غير  
الذي كنت أفكر فيه ٠٠

— ولكني أخشى أن هذا يسبب لها ازعاجاً فشحراً ٠٠

ثم ألقت بعينيها إلى الحقائق الكبيرة تتفحصها ٠٠ فقلت فجأة  
وقد انطلقت الماكينة تزجر وتدير التروس في مهارة فائقة ودقة في  
المنطق وصفاء النية ٠٠

— أحب أن أقول شيئاً ٠٠

— تفضل ٠٠

— إن البشر مختلفون ، ولكنهم متفقون ، دائماً في شيء واحد  
وهو إنسانيتهم ، بدليل أن الشرير مهما كان شريراً دائماً تمر عليه  
لحظات يكون فيها الإنسان الذي له ضمير وله خلق ، وله أيضاً  
مبادئ ٠٠

— لماذا تقول هذا ؟

فاستطردت دون توقف :

— وأنت سيدة يبدو أنك مثقفة ثقافة عالية ، ويبدو أيضاً أنك غير  
هيابة وواثقة من نفسك تماماً بدليل ٠٠



ونظرت الى الحقائب التى معها والساعة التى بلغت الثالثة والنصف صباحا وقلت :

- بدليل أنك آتية الآن من سفر ٠٠ أين كنت ؟

- فى أوروبا أزور شقيقتى المقيمة هناك ٠٠

- هل سافرت وحدك ؟

- أجل ٠٠

- وعدت وحدك ؟

- أجل ٠٠

- إذن فكل الامور بيدك أنت ودائما ستكون بيدك أنت ٠٠ وهذه ميزة أو هى حقيقة وجدت فى الانثى ولم توجد فى غيرها من سائر البشر ٠٠

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أنك سوف تصدقين ما أقوله لك ، ان زوجتى وأولادى ليسوا معى الآن ٠٠

وأنا كشقيق لك ، فأحد امرين اما أن تصدقنى هذا وتبقى عندى حتى يطلع النهار ، واما أن أترك أنا لك البيت حتى الصباح ٠٠ وأنا رجل وأعرف كيف أتصرف فى هذا الوقت المتأخر من الليل .

فصمتت قليلا ونظرت ثانية الى ساعتها ثم الى الحقائب التى معها ٠٠ ومن ثم أفتر ثغرها عن ابتسامة مطمئنان أعادت اليه اشراقته ولونه الابيض الوردى وهى تمد يدها لتمسك ببعض الحقائب وتحملها :

- ان من يقول هذا فهو بلا شك انسان ٠٠

وحملت عنها الحقائب وأدخلتها الى الصالة ، وكنت قد أضأت النور ودعوتها للدخول فدخلت ولكن بحذر حتى أن قدمها كانت تضطرب وهى تتحسس بها الارض التى تسير عليها لأول مرة ، كما لو كانت قدم أرمسترونج وهى ترتعد عندما وطئ بها أرض القمر لأول مرة ٠٠ وهل هى بالفعل صلبة متينة ومطمئنة أم هى لزجة طرية ومن طين أو وحل قد تغوص فيها قدمها وتسقط وتسبب لها المتاعب ٠٠ ويظهر أنها وجدتتها كذلك «غير مطمئنة» لأنها عندما توسطت الصالة ورأت نظامها ونظام المسكن وغرفة النوم الواحدة والمرايا التى تغطى جدرانها ، امتنع وجهها وشحب وعادت اليه صفرته التى بلون الاناناس وبريق كأنه وقد الجمر يلتمع فى عينيها وقالت :

- ولكن هذا ليس مسكن أسرة ..

فأسقط فى يدي ، وشعرت بحرج شديد وخشيت لو أنها فطنت الى ارتباكى وظنت بى السوء ، ولذلك وبفس القوة التى كانت تدفع الماكينة والدقة فى المنطق والصفاء فى النية ، قصصت عليها الحقيقة كاملة ، وقلت لها كل شيء منذ اللحظة التى دس فيها لطفى المفتاح اللعين فى يدي فى المطار ، الى هذه الليلة التى دخلت فيها هذا المسكن لأول مرة فى حياتى . ويبدو أن الحقيقة والكذب ، والاخلاص والنفاق ، وما الى ذلك من المتناقضات فى الخلق كالألوان تماما ، هذه نتعرف عليها بالرؤية ، وهذه نتعرف عليها بالسمع .. لأنها صدقت على الفور كل ما قلته لها ..

وقالت فى ارتياح الواثق وهدوء المطمئن :

- وأين ستنام أنت ؟

- فى الشرفة ..

- ولماذا لا يكون العكس ؟

قالت هذا وهى تهم بالفعل أن تذهب الى الشرفة .. فارتبكت اذ خشيت أن ترى الزجاجة والكأس فتستاء من جديد وتعود وتظن بى ض طريقها :

أنا وكنت الآن فى بيتك هل كنت

- ولكنه ليس بيتك أيضا ..

وأشهد بأن ضحككتها هزت قلبى .. لا من أجل رنينها العذب الذى ينتشئ له القلب ، ولا من أجل رعشة شفاهها الحلوة وهى تضحك وكأنها رعشة الورق وهى تفتقر لطلعة الفجر ، وإنما اهتز قلبى من أجل هذا الخير الذى قدرت أنا عليه اذ اتحت لطائر حائر فى الليل أن يطمئن وأن يجد له عشا حتى الصباح ..

ثم بعد لحظات تعمقت فيها هذا المسكن اللعين مرة أخرى .. نظرت حيناً الى غرفة النوم .. وحيناً الى باب الحمام الذى كان هو الآخر كجباب الغرفة مسحوراً يدخل ويخرج من الحائط ، وكان هو الآخر من الزجاج المصقول الذى لا ترى من خلاله شيئاً ، وان كنت فى الحقيقة تستطيع أن ترى فى الخيال كل شيء ، قالت :

- اذن تفضل أنت ونم كما تشاء .. فقط لا تؤاخذنى اذا سببت لك ازعاجا وتركت النور مضاء الى حين حتى أصلى العشاء ..

وكننت انتظر أن تقول شيئا أى شيء ، أو تفعل شيئا أى شيء الا أنها تصلى ، ورغم أن هذا أسعدنى وأدهشنى أيضا ، وحتى لاتلاحظ دهشتى قلت سريعا :

- بل دعى النور مضاء حتى الصباح ..

فقالته وهى تتركنى وتتجه الى غرفة النوم :

- لا أبدا .. حتى أصلى فقط ، ففسد تعودت دائما أن أصلى العشاء فى موعدها ، ولكن الليلة وبسبب الباخرة ومتاعب السفر لم أستطع ذلك ..

ثم وقفت فجأة وقالت وهى تستدير كمن تذكر شيئا هاما ..

- ولكن بالمناسبة ، اين القبلة هنا ؟

فتعاملت أنفاسى ، ولولا أننى تذكرت فجأة الذين شاهدتهم يصلون فى المسجد أول الليل لارتبكت ارتباكا شديدا . ولما أشرت اليها الى مكان القبلة هزت رأسها شاكرة فاهتزت أيضا خصلات كثيرة من شعرها الاسود الفاحم كما تهتز موجات من الظلام فوق احدى القمم فى الليل ومن ثم دخلت الى الغرفة . وانصرفت من أمامى . فانصرفت أنا أيضا الى الشرفة أجز ساقى من ثقل لا أدرى الباعث عليه وتمددت فوق الكنبة الوثيرة فى الظلام . ومن ثم رحت فى الليل انظر الى النجوم ولا أدرى هل كنت أعدها أم كنت أعد أنفاسى التى كانت تترى سريعا وكأننى حيوان يلهث . وظللت كذلك الى أن حانت منى على الرغم منى التفاتة الى الداخل فرأيت محتويات المسكن جميعه كان هذا نظامه سواء وأنت فى الشرفة أوفى الغرفة أو فى الصلاة فانت ترى كل شيء حتى لكان كل ذلك غرفة واحدة . ورايت فيما رأيت من شتى المحتويات الجميلة . رأيت أجمعها ، أو لعله أجمال مارأيت طيلة حياتى . رأيتها كانت خارجة من الحمام ومتجهة الى غرفة النوم ، وكانت ترتدى ثوبا غريبا كان الثوب ناصع البياض وكان فضفاض الى حد كبير حتى لكانه على جسدها كالعباءة يتسع لثلاث أو أربع غيرها ، قدمشته ، انه ليس ثوب نوم وليس ثوب خروج ، وهو أيضا ليس ثوب بيت . وأخيرا ادركت انه لابد أن يكون ثوب الصلاة ، وكانت تجفف ذراعيها وهما كل ما رأيته هاريا من جسدها . ثم لما توسطت الغرفة وكانت قد مسحت على وجهها أيضا أخرجت من احدى الحقائق - بشكيرا -

كبيراً وفرشته فوق السجادة ومن ثم اتجهت الى القبلة كما وصفته لها وبدأت تصلى .. كان المنظر مثيراً حتى أننى من شدة حرقة حاولت أن أغمض عنه عيني ولكنى لم أقدر .. لم أستطع .. أبداً أن أغمض جفنى .. وكنت كلما رأيت هذا الثوب المفضفاض كأنه الموج .. يتماوج من أمام أو من خلف وبرز مع الموج ردف أو لاح ثدى أحسست بالدم يزار فى كيأنى كما تزار النار .. أما اذا رأيتها وهى تركع أو تسجد ورأيت أشياء كثيرة ورأيتها بوضوح أحسست بالحرق ياكل جسدى ويفرق عظامى حتى وددت أن أصرخ .. أما اذا انتصبت واقفة بجسدها الفارع الطويل داخل ذلك الثوب المفضفاض أحسست بالنظرات تنطلق من عيني وهى تزمر وكأنها الصاروخ الجبار ساترين ه وهو ينطلق به الى هذا القمر الذى هو قمر بالفعل ويدور بى فى متاهاته .. ويفرقنى أحياناً فى بحوره .. أحياناً فى بحر العواصف تتقاذفنى أمواجه .. وأحياناً فى بحر الهدوء أتحمس ملمسه الناعم .. وأحياناً فى بحر الصفاء يرتاح قلبى .. وأخرى فى بحر البخار اللذيذ أستنشق فى نشوة أنفاسه الدافئة .. وبينما كانت هذه البحور جميعاً تتقاذفنى وتلقى بى من فوق هذه الربوة الى ذلك المنخفض من فوق تلك القمة الى دائرة تلك الانحناء كانت هى قد خلصت من صلاتها وأطفات النور وأوت الى الفراش عند ذلك شعرت بما يشبه الاختناق فنهضت سريعاً وجلست فوق الكتبة فى الشرفة أسترد أنفاسى وأجف حبات العرق التى كانت تتصبب من وجهى حيناً كحبات الثلج وحيناً كحبات النار تلدغ كل جارحة فى .. ولما لم أقو على احتمال هذا العذاب، فكرت فى أن أطفىء هذه النار بأى ثمن .. بالوجود بالخمر بالدنيا بحياتى هذه التى تحترق وفكرت فى أن أعمل شيئاً ، أى شئ .. ولكنى فجأة وعلى غير انتظار رن فى أذننى صوتها وكان نظيفاً صافياً كأنه الطهر « ان من يقول هذا فهو بلاشك انسان » فثبت الى رشدى على الفور وتصبب منى العرق ثانية ولكنه كان هذه المرة أشبه بعرق الخزى فبسملت وحوقلت واستعدت بالله من الشياطين جميعاً التى همست لى بما همست .. وأحسست برغبة شديدة فى أن أشرب سيجارة ومددت يدى فى هدوء جم وصفاء يفيض على كيأنى كله وتحسست علبة السجاير لأشعل سيجارة .. ولكنى لم أجد العلبة بجوارى .. فرحت أبحث عنها فى الظلام وكلما اقتدتها أحسست برغبة لا تقاوم فى العثور عليها .. وفجأة تذكرت شيئاً مروعا ، تذكرت أن علبة السجاير فى غرفة النوم بجوار الوسادة أو فوق الكمودينو حين كنت أسخن فى الفراش وأنا أحلم بأن

جرسا يدق فى الليل • وأسقط فى يدى فقد كانت رغبتي للتدخين فى هذه اللحظة تكاد تبطش بى • اننى أريد أن أشرب سيجارة • • سيجارة • • أن التهمها • • أن احتسبها • • أن أكلها اكلا • وأحسست أننى كالمدمن أن لم يحقن بالمخدر سريعا دهمته الازمة • لدرجة أننى مددت يدى الى المنفضة التى أمامى لعلنى أجد فيها عقبا واحدا أو بقايا من عقب احتسى منه ولو نفسا واحدا فلم أجد • ونظرت حولى فلم أر غير الظلام • ونظرت من الشرفة الى الطريق فلم أجد أيضا غير الظلام • حتى مصابيح الشارع كانت مطفأة • وما بقى منها كان شاحبا مصفرا كوجه ميت • ولما لم أقر على المقاومة فكرت • وفكرت فى أناة وتريث وتعقل أيضا • • اننى بلاشك حسن النية واننى بلاشك لا أقصد سوءا • واننى رجل وانسان له خلقه ومبادئه وعهوده التى تعهد بها • وسوف أكون كذلك بالفعل • وليس كما وعدتها فقط وانما كما وعدت نفسى أيضا • فلماذا لا أذهب الآن الى الغرفة وأطلب منها أن تعطبنى علبة السجائر ان كانت مازال مستيقظة • أو أتسلل الى الغرفة وأتناول العلبة وأخرج ان كانت نائمة • وأنا أعرف مكانها بالضبط • ولم أتردد • وعندما وقفت عند الباب فى الظلام سمعت أنفاسها تترى • مما يدل على أنها مستغرقة فى نوم عميق فقد كان صوت الشهيق والزفير مسموعا • فعالجت الباب فى رفق وفى حذر أيضا كما يعالجه تماما لص مدرب ، وقد علم الله اننى لست كذلك • ولما انفتحت دون أن يحدث صوتا كما كنت أريد : دلفت أتحسس الخفى ومددت يدى فى حذر ما بعده حذر • بيد اننى ما كدت أفعل حتى انتفضت فجأة واقفة أمامى وكأنها الوحش الذى يريد أن يقتلنى وفى دعر مروع أطبقت بيديها على ذراعى وهى ترتعش وترتجف وتصرخ فى خوف مسعور • أرجوك • • أتوسل اليك • • ظننتك رجلا • • لقد وعدتني • • لقد وعدتني • • لا تلوثنى أرجوك • • لا تقض على حياتى • • أخرج • • أخرج • • أرجوك • • أخرج • •

فارتج عقلتى وحاولت أن أتكلم فلم أقدر • • حاولت أن أقول لها الحقيقة فتجمدت شقامى ولما رأتنى كذلك ازدادت خوفا • • ودعرا • فحاولت أن أنتزع يديها من ذراعى لأخرج كما أرادت • ولكن أصابعها من شدة الخوف والذعر كانت قد انغرست فى لحم ذراعى وأطبقت عليها وتجمدت كأنها قبضة من حديد • وكنت أنا أيضا من الخوف كلما حاولت أن أخلص ذراعى وأبتعد عنها أقتربت منها دون أن أدري • وكانت هى أيضا كلما دفعتنى الى امام فى خوف وصرخت فى وجهى • • أخرج • • أخرج • • التصقت بى فى

خوف أكثر وفى دعر اشد .. واحسست بيمين صدرها يلتصق  
بصدري فارتعشت واضطربت ولذت بها مرتعدا كطفل .. واحسست  
بانفاسى التى تشبه لفحات النار تحرق وجهها ونصف صدرها  
العارى فارتعبت وجحظت عيناما وانفرطت تبكى وكأنها احست  
بتخايل ساقها وخافت أن تسقط وأن تنهزم فاستندت الى صدرى  
والقت براسها فوقه وراحت تبكى .. وبكى أنا ايضا .. وتساقطت  
دموعها فوق صدرى وتساقطت دموعى فوق خديها .. ومكثنا  
كذلك نبكى .. وتعالق خلال الدموع انفاسها التى كانت لفحات ..  
وفى بطن شديد اخذ كلانا يتحرك .. اخذت اناملها تعود اليها الحياة  
وتتحرك حول ذراعى .. ولما تخلصت منها نهائيا رفعتها .. رفعت  
ذراعى فى ثقل لا حد له .. والقت بها فوق كتفى .. عند ذلك  
تناولت يدها الثانية واخذت امسح بشفتى كل اصبع فيها .. على  
كل اثملة من اناملها .. وكانت قد رفعت وجهها قليلا والذى كانت  
تغطيه الدموع فاقتربت انفاسها من وجهى .. وفى الليل والظلام  
استطاعت ذراعى أن تجد لها مكانا فوق كتفى فاستراحت عليه ..  
كما استطاعت ذراعى أن تجد لها مكانا ايضا حول الخصر  
فاستكانت حوله .. ومن ثم راح كل منا يبحث عن مصدر هذه  
الانفاس فى الليل فارتعشت شفة واختلجت أخرى .. وهمهم ثغر  
وارتجف آخر .. وفجأة دوى صوت ارتعدت له فرائصنا .. دوى  
فى اذنينا كأنه النار النار التى تزار .. كأنه البركان من الارض  
تحت اقدامنا فسقطت هى على الفور عند قدمى كحزمة من هشيم  
تحترق وبدل أن كانت تبحث فى الظلام على شفاهى لتبصر مصدر  
النار فتلطفنها .. اخذت تبحث عند قدمى عن مصدر للغفران  
فتستقر .. وبينما كانت تقبل قدمى لكى اخرج .. كان صوتها المحموم  
يترامى الى اذننى كأنه النذير .. أرجوك لا تلوثنى .. لا تلوثنى  
.. اخرج .. اخرج ..

ولما خرجت كان ذلك الدوى الهائل لايزال يرن فى اذننى .. ولما  
انصت اليه .. كان عذبا رخيما .. تماما كالذى استمعت اليه فى  
أول الليل وهو يدعو الناس لصلاة العشاء .. وكان هذه المرة  
يدعوه لصلاة الفجر ..

# ضياء



اسير فى الطريق كما هى العادة الى اين ؟  
لاعرف . فقد كان يجلو لى دائما ان اسير وان  
اسير فقط . اتسكع فى الطريق اقرا ارقام  
السيارات واتأمل لافتات المحال العامة واتأمل سحن  
الناس واشكالهم وخلقتهم . الطويل والقصير .  
الابيض والاسود . المسبشر والمتشائم . والذى يسير وكأنه يركض .  
والذى يركض وكأنه يسير . وكذلك النساء . المنتفخة حتى لكانها  
تحمل فى بطنها برميلا . والعجفاء حتى لكانها احدى البقرات  
السبع التى راها يوسف فى منامه . والتى عيونها بلون خضرة  
البرسيم . والتى عيونها كجرحين يقيان دما . والتى تملك اعلى  
الثياب ولكنها لا تعرف كيف ترتديها . والتى ترتدى الرخيص جدا  
من الثياب ولكنها على جسدها الجميل اشهى من الجسد نفسه .  
وتلك التى يعرض جسدها الثوب بدلا من ان يغطيه حتى لكان  
الثوب على جسدها المجهر الذى يريك الدقيق من الاشياء .

ومرت بى سيارة فتأملتها طويلا . ومرت بى سيارة فقرات  
رقمها سريعا . ومر بى متجر جميل فوقفت اطلع الى قترينته .  
واقرا لافتته . واتمعن فى الرسوم الجميلة التى رسم بها الخطاط  
الأحرف التى يتكون منها الاسم . وكاننى سرحت او ذهبت الى  
ما هو أبعد من نفسى . لأننى افقت فجأة على يد فوق كتفى وما أن

رأيت حتى وجدته صديقا عزيزا تربطني به صلة ود وحب واعزان  
كنت لا أراه الا نادرا • فقد كانت هذه عادتنا • اما أن تلتقي دائما  
وفي الصباح وفي المساء واما بالحوار ينقضي فلا أراه أو يراى  
وما أن استدرت اليه وهممت أن أصافحه حتى قال على الفور  
وهو يضحك :

• - لملك كالعادة تقرا لافتات المطاعم لتدخل يوما أفخرها  
ويوما أحقرها ؟

فقلت له وأنا أضحك فرحا بلقائه وأقرر حقيقة :

• - تناولت أول أمس وجبة غداء بجنيهين • وتناولت أمس  
وجبة غداء بأربعة قروش •

فقال سريعا وهو يسير ويدفعنى معه الى السير :

• - هيا بنا الى هذا المطعم العظيم •

ووافقته على الفور ولكنى فجأة ترددت • ووقفت وقلت له :

• - اسمع • • تريث • • وفكر بعقلك ان كل الذى معى عشرة  
قروش • فكيف سننفقها أو نقسمها مع ضرورة أن ندخر منها  
شيئا للزمن •

فقال سريعا :

• - شيء عظيم أنها مقسمة أصلا •

فقلت له فى غيظ :

• - كيف ؟

فقال فى هدوء وثقة :

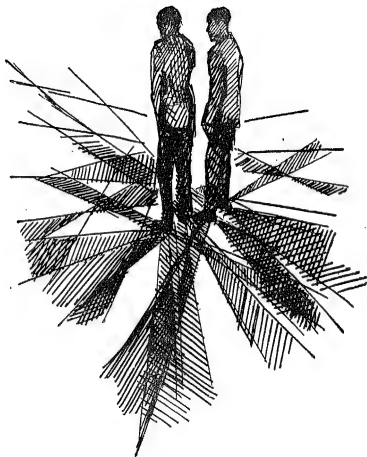
• - اطمئن • انك تعلم اننى خريج تجارة •

ثم وضع يديه فى جيبى البنطلون • وقطب ما بين حاجبيه ونظر  
الى أعلى فى تفكير حتى لكأنه يفكر فى الباب الاول أو الثانى  
لميزانية دولة وقال :

• - رأس المال عشرة قروش • أى أن المدخرات الفعلية •  
والموجودة فعلا فى الايرادات بالغ قدرها عشرة قروش •

ثم أخرج علبة سجاير كليوباترا لمحت اللثمن عليها ٢٣ قرشا  
وأشعل واحدة هى كل ما بقى فى العلبة لأنه قذف بالعلبة فارغة  
فوق الطوار •





ثم استطرد :

- والآن نريد بهذا المبلغ المدخر أن نبعث الحياة في مضيعين •  
أى فى معدتين • أى فى بطنين • فكيف نعد الميزانية ؟ انها معدة  
من تلقاء نفسها حتى بما فى ذلك المصروفات غير المنظورة • و • •  
وأراد أن يستمر فى هذا الهذيان فقلت فى منتهى الغيظ لأننى  
أيقنت تماما أننى فقدت العشرة قروش فعلا :

- خلصنى • • ماذا تريد أن تقول • وماذا تريد أنت ؟

فقال وكأنه يتحدث الى وزير من وزراء المال :

- الذى أريده أنا • أن تدعونى على الغداء • والذى أريد  
قوله أن العشرة قروش مقسمة كالتالى : أربعة قروش لك • وأربعة  
قروش لى • وقروش للبقيشيش طبعاً طبعاً • أما القرش العاشر  
فسوف يقسم مناصفة بيننا وهذا ما تسميه أنت بالمدخر للزمن •  
ونسميه نحن فى لغة الاقتصاد بالاحتياطى فى الميزانية •

وكنا قد قطعنا شارع قصر النيل واخترقنا ميدان العتبة وبلغنا  
شارع محمد على • وعرجنا يمينا بعض الشيء فطالعنا مطعم فول  
الجمهورية وشاهدنا القدر للحساسية الصفراء الجميلة الطلعة  
الحلوة المنظر ولاسيما القدر الكبير المنتفخ البطن جدا والضيق  
العنق جدا • هذا العنق الجميل الذى يتصاعد منه بخار كأنه  
الدخان الأبيض كأن رائحته أحدث ما أنتجت باريس من عطور •  
ولولا الزحمة التى تشبه زحمة الحشر حول هذا القدر • من هو  
طفل ومن هو صبي • ومن هو بجلباب • ومن هو بينطلون وقميص  
ومن هو الشيخ المعمم والكل كالكلاب النابضة يمدون الأذرع  
ويمدون الحناجر أيضا يطلبون الطعام • لولا هذه الزحمة لكنت  
فى كل مرة أذهب فيها الى مطعم فول الجمهورية • أقف بالساعات  
أستمتع بهذه الرائحة الجميلة •

ودخل هو أمامى شامخاً مرفوع الرأس • يضع يديه فى جيبي  
البينطلون فى عظمة وكبرياء • ودخلت أنا خلفه منكس الرأس فقد  
تأكدت تماما عنددخولى أن العشرة قروش قد ضاعت فعلا وضاعت  
عن آخرها • وكان المطعم من الداخل فسيحاً بعض الشيء ومظلماً  
أيضاً بعض الشيء وفى القليل النادر جداً أن تراه مزدهراً •  
والجلوس فيه والى بعض موائده يبعث حقيقة على الهدوء والراحة

النفسية حتى أننى فى كثير من الأحيان كنت أطيل الجلوس فيه •  
وما أن جلسنا حتى أقبل علينا سيد وهو العامل الوحيد فى  
المطعم • وهو صبى فى الخامسة عشرة من عمره • وهو سمح  
الطلة يضحك وجهه دائما وكان دائما أيضا نظيف الملابس مما  
يجعل العين ترتاح الى رؤيته • وحيسانى بالذات تحية حارة •  
لأننى كما يقول سيد أحسن زبون • وكان هذا أغضبى صاحبى لأنه  
قال له وكأنه ينهره :

- استمع لى أنا • واصغ الى ما أطلبه أنا •

ثم راح يطلب منه العديد من الاصناف • حتى اسقط فى يدي  
قلت على الفور هامسا :  
- لاتنس أنها عشرة قروش !

فأشاح بيده فى وجهى واستمر يخاطب سيد • ولكن بعد أن  
قال يخاطبني دون أن ينظر الى :  
- قلت لك أننى رجل اقتصاد •

ثم وجه حديثه ثانية لسيد وطلب أصنافا أخرى • ولما هم منيد  
أن ينصرف وهو يهز رأسه • أسرعت وأمسكت بطرف ثوبه استوقفه  
وأنا أقول :  
- وأيضا لاتنس بعد أن تحضر هذه الطلبات جميعا أن تحاسب  
الذى طلبها •

فقال سيد لعنه الله وهو يضحك :

- عيب يا بيه تبقى حضرتك عازم واحد ويدفع هو •

ثم عقب وهو ينصرف سريعا ومازال يضحك :

- خلوا عنكم انتو الاثنين والحساب على •

ولما انصرف سيد أردت أن أطمئن وأن أقول له شيئا ولكنه  
قاطعنى قائلا :

قلت لك مرارا أنت لا تفهم فى الاقتصاد • لقد قرأت سريعا  
وأنا ادخل قائمة الأسعار • فأعددت الميزانية فورا على هدى الأرقام  
كالآتى : فبدلا من اثنين طعمية واثنين فول • واثنين سلاطة •  
والسلاطة ليست بالمجان • توفر واحد طعمية ويقسم الآخر بيننا  
وتوفر واحد سلاطة ويقسم الآخر علينا أيضا • ومن هذا الوفرة

طلبت شوربة العدس • وبهذا يكون قد تغدينا أكثر وتناولنا أصنافا أكثر ووفرنا من الميزانية نصف القرش لان مجموع المنصرف هو سبعة قروش ونصف قرش فقط •

وما أن وضع ذلك حتى امنت بأنه رجل اقتصاد فعلا وأسعدنى هذا وشعرت بفرحة غامرة حتى أننى من شدة الفرحه كدت أشد على يده مهنئا ورفعت يدى فعلا • ولكنى سرعان ما رددتها فى خجل لا حد له وأحسست على الفور بما يشبه العرق يكاد يتصبب منى وذلك عندما رأيت مصادفة فتاة تجلس على مائدة فى ركن المطعم تستمع الى حديثنا وتنظر الينا وتبتسم ولعل الذى أخجلنى كثيرا هو ابتسامتها التى كان فيها أكثر من معنى هل هى مسخرية هل هى اشفاق ؟ هل هى تقدير ؟ هل هى تحقير ؟ ولا أدرى هل هى كانت موجودة من قبل ولم نرها عند دخولنا وسمعت حديثنا من أوله • أم هى دخلت ونحن منهمكان فى اعداد الميزانية وفى حديثنا مع سيد • ان كل الذى حدث أننى لحقتها وعرفت أنها كانت تصفى الينا باهتمام وكانت أيضا تبتسم • ولاحظ هو على ما وقعت فيه من خجل وارتابك • ولما سألنى فى دهمشة قلت له على الفور فى غيظ شديد :

— كسفتنا ياشيخ الله يكسبك •

ولما همست له أن فتاة خلفنا تصفى الى حديثنا وتبتسم • التفت هو اليها وتعمقها سريعا • دون أن يجعلها تقطن الى أنه قد نظر اليها • ولما فعل ذلك التفت الى وقال وهو يضحك :

— أؤكد لك أنها احترمتنا •

فقلت له فى حنى :

— كيف يا حضرة الاقتصادى الكبير ؟

فقال وثغره محشو بالطعام :

— لأننا من علية القوم ونؤم هذه المطاعم الشعبية •

فازداد حنقى وقلت :

— كيف تكون من علية القوم وليس معنا سوى عشرة قروش ؟  
فهز كتفيه وقال :

— كيف لا يكون معك سوى عشرة قروش • وانت ترتدى كرافطة  
جاكفات ثمنها تسعة جنيهات ؟

ثم ابتلع ما فى فمه دفعة واحدة وأكمل :

– هذا هو الاحترام يا صديقي •

ولما لم أجد فائدة من الحديث مع هذا المجنون صمت فقال هو :

– قلت لى أنك أول أمس تناولت وجبة غداء واحدة بجنيهين •

– هذا جنون اعترف به •

وكأنه لم يسمع لأنه استطرد :

– وأنت الآن تتناول القاتلات الثلاث الفول والطعمية والعدس •

وهذا يؤكد لها تماما إذا كانت تصعى حقا • أنك فعلا من عليّة

القوم • وأنت أيضا من المحترمين • لأنك تريد أحيانا أن تهبط الى صميم الشعب •

وأردت أن أسبه • ولكننى قلت :

– اننى أهبط لضيق ذات اليد •

فتناول أصبعا جميلا من أصابع غانية كما يسميه وهو قرن حار من الفلفل وزدريده دفعة واحدة وقال :

– أنا لا تهمنى الأسباب التى دعتك الى الهبوط • وإنما يهمنى أنك هبطت فعلا •

وكان سيد قد جاء ببقية الأطباق العديدة التى طلبناها ووضعها أمامنا وانصرف ليأتى بغيرها أيضا • وحانت منى التفاتة أخرى اليها فادهشنى أن نظرتها لنا وكانت مازالت تنظر ، فيها فعلا الكثير من الاحترام • وكنت قد نظرت اليها أكثر من مرة حتى كدت اتعمقها • فلفت نظرى فيها أشياء كثيرة أهمها أنها تشدك اليها مهما حاولت أنت أن تباعد • وأنها تجعلك تفكر فيها منذ أن يقع نظرك عليها • لا كامرأة جميلة فقط • ولكن كباب مغلق خلفه الكثير من التحف • أو كخطاب مقفل يحتوى على كثير من الاسرار • وكان جمالها أيضا كذلك فيه سر كبير لأنه غير واضح للعين المجردة • كان فى مجموعه أشبه بمصباح جميل للغاية ولكنه منطفئ • تقف أمامه وتعامله وتعجب به • حتى لكأنك من كثرة تطلعك اليه وإعجابك به تكاد تتخيله وهو مضى وترى نوره وهو يبهر عينيك • وكان يبدو عليها أنها من – عيلة – وأنها ذات أصل عريق • كان كل شيء فيها يوحى بذلك حتى الثياب التى ترتديها كانت تدل على ذلك فقد كانت أنيقة جدا • وغالية الثمن جدا • ولكنها لاتملك غيرها لأن معالم البلى بدأت تتسلل اليها كما تتسلل بوارد الشيخوخة فى غفلة من الأيام وزحمة من السنين الى الوجه الجميل فتشوهه

والعيون المشرقة فتطفئها • فقد لحت وهي تستدير لتتناول حقيبتها التي كانت بجوارها على مقعد آخر • لحت في البلوزة الحريري الغالية التي ترتديها من ناحية الكتف اليمنى ثوبا صغيرا لعلها لم تظن اليه أو لعلها فطنت ولكنها لم تستطع أن تفعل شيئا • وواجهني وجهها كله وهي تعيد الحقيبة الى مكانها فرأيت عينيها الواسعتين الجميلتين أشبه ما يكون جمالهما وسحرهما بجمال الوجه وسحره • ولكنهما أيضا كمصباح تريد له الأعاصير أن ينطفئ • انها سر من غير شك • ولكن ما عساه أن يكون سرها • ولما سألت صاحبي الذي كان مازال يأكل • قال وهو يلتهم قطعة الطعمية الثالثة من الأربع التي كنا أو كان المفروض أن نتقاسمها :

- لعلها من علية القوم مثلنا ويعز عليها أن تهبط •  
- ولكن ما هذه الأسرار الكثيرة الغامضة التي تطالعك كلما نظرت إليها •

وقال وهو يلتهم القطعة الرابعة التي في الطبق ويقضى على ما فيه :

- ستكون مثلها يوما •  
- لم أفهم •  
- انها يعز عليها أن تهبط • أما نحن فسواء علينا أن نكون ق القمة أم تحت السفح • سواء أن نتناول وجبة غداء في هيلتون بجنيهين • أو وجبة غداء في مطعم فول الجمهورية بـ ١٠٠ قروش •

وضايقني منه هذا الأسلوب الساخر دائما • وأردت أن أقول له يثا ولكنه فجأة استدعى باهتمام سيد حتى لما لم يستطع أن ادى عليه لأن ثغره كان محشوا استدعاه بالإشارة • فاسقط في ي واضطربت حتى كاد يشحب لوني • لأنني خشيت أن يطلب ما آخر • وكانت هذه هي عادته يأكل أولا ثم يعد ذلك يفكر الحساب • وكثيرا ما أوقعني معه في مثل هذا الحرج • وقبل أقول له شيئا كان سيد قد حضر وأحنى رأسه وابتسم كعادته • ل له على الفور يسأله في همس شديد •

- هل هذه السيدة الجالسة خلفنا تناولت طعامها ؟

فأحنى سيد رأسه ثانية وابتسم وقال :  
- من زمان •

- ولماذا هي جالسة اذن ؟

فتلاشت الابتسامة من ثغر سيد هذه المرة وقال :

- هذه هي عادتها • احيانا تظل جالسة هكذا الى ان تتناول طعام العشاء •

- وتدفقه عندما تنصرف •

- اربعة قروش كل يوم ••

- فوضع يده فى جيبه وهو يقول لسيد :

- خذ هذه القروش الخمسة ولا تخبرها أننا دفعنا لها الحساب  
الا بعد ان ننصرف نحن •

وما ان رايت القروش الخمسة فى يده تتلألا كأنها النور •• حتى  
قلت له مشيوما •

- اذن انت معك خمسة قروش وتخفيها عني •

وانصرف سيد ولم يجب هو ولما أعدت عليه السؤال غير  
الحديث وسألنى :

- ماذا ستفعل غدا ؟

فقلت :

- تقصد ماذا ستفعل غدا ؟

- أنا أسألك عن نفسك •

- أنا مرتبط بك • أنت تعرف أنه ليس معنى نقود •

فقطب فجأة واكفهر وجهه وهو يتحسس جيوبه باهتمام ويقول :

- تصور بعد هذه الوجبة الشهية ليس معنى سجاير !

وكدت ان اصفعه من الغيظ أو اسبه أو أقول له شيئا ولكنى قبل  
ان أفعل رايتها تنهض وتنجه الينا وتقول له وشيء من العطف فى  
عينها :

- خذ هذه العلبة • حقيقة الذى بها لا يزيد على سيجارتين أو  
ثلاث •• ولكنها كل ما معنى • كل ما املك ••

فتصببت عرقا على الفور • وخجل هو أيضا وقال فى ظرف :

- شكرا اننا نتندر •

وقالت وشيء من الصرامة فى قولها :

— ان لم تأخذها فسوف لا أقبل أن تدفع لى ثمن الغداء •

فتناول من يدها الممتدة اليه اللعبة سريعا وأراد أن يشكرها وأن يقول لها شيئا • ولكنها كانت قد عادت الى مائدتها ولم تجلس وانما تناولت حقيبتها وأخرجت منها نظارة سوداء كبيرة وأنصرفت دون أن تلتفت إلينا • ولاحظت وهى عند الباب تضع النظارة السوداء الكبيرة على عينيها • أن بزجاج النظارة الأيمن شرخا مستطيلا شوه كل شيء • • المنظر الجميل • • والوجه الفاتن والعيون الواسعة • كما لمحت مرة أخرى الثقب الصغير الذى فوق الكتف فزادنى هذا ايمانا بمأساتها • ورغبة صادقة فى معرفة سرها • وشعرت بضيق لأحد له لأنها انصرفت • فاستدعيت سيد وقلت له :

— لماذا انصرفت ؟

فقال فى بساطة متناهية :

— ستعود ثانية • وتستطيع أن تراها دائما • لأن ما من مكان تذهب اليه الا ووجدتها فيه •

وكانه لاحظ على وجهى الدهشة لهذا القول • فقال مستطردا وفى نفس البساطة المتناهية :

— تصور أننى أمس بعد أن شطبنا ذهبت عند مخالى لأملأ القنينة للحاج فوجدتها جالسة هناك •

فقلت فى دهشة :

— من هو الحاج ؟

فأشار بأصبعه الى صاحب المطعم الذى كان يتصبب عرقا وهو منهمك فى اعداد الساندوتشات للكلاب النابحة حوله والانزع المنيعة الممتدة اليه ••

فسألته ؟

— ومن هو مخالى ؟

فأشار بنفس الاصبع الى حانوت مقفل امام المطعم مباشرة وقال :

— صاحب هذه الخمارة ••

— ولكنها مغلقة ••

فقال وهو ينصرف هذه المرة :

— مخالى لا يفتح خمارته الا بعد الثامنة مساء •



ودفعنا الحساب ، وكان كما أعد هو الميزانية بالحرف ، سبعة قروش ثمن الغداء ٠٠ وخرجنا يسير هو أمامي شامخا مرفوع الرأس ولما سأله : ألم نتفق على اقتسام الباقي ؟ ذكرنى بأنه دفع خمسة قروش ثمن الغداء ٠٠ وخرجنا يسير هو أمامي شامخا مرفوع الرأس كأنه القائد المظفر يستعرض جيشه المنتصر . وفى الطريق توقف من السير وتحسس جيوبه وأخرج علبة السجائر التى أعطتها له الفتاة ونظر إليها فى كبرياء وقال :

— ليس بها غير سيجارة واحدة ، وهذا لا يكفى ٠٠

فكدت أسقط فى الطريق من الضحك ، وتأكدت لحظتها أن شر البلية ما يضحك فعلا ٠٠ وسرنا بعض خطوات فتوقف عند بائع سجائر وطلب علبة كليبواترا فمدت يدي سريعا كى أمنعه ٠٠ وأرجعته مثلا يستبدل الكليبواترا بعلبة بلمونت صغيرة ونقتسم الـ ١٢ قرشا الباقية ٠٠ ولكنه قبل أن أفعل أو أنطق أخرج من جيبيه ورقة من فئة الخمسة جنيهات قدمها للبائع وهو يلتفت لى ويقول وكان لا يكذب : — انها كل ما املك ٠٠ وقبل أن نفترق سنقتسمها بالتساوى ٠٠

ومن ثم واصلنا السير ٠٠ ولكن الى أين ؟ كنا لانعرف ، كما هى العادة ٠٠ رحنا نجوب هذا الشارع أو ذاك ٠٠ ونقطع هذا الطريق أو ذاك ٠٠ ننظر الى المارة ٠٠ ونقرأ أرقام السيارات ٠٠ ونقف أمام المفترينات ٠٠ الى أن بلغنا جروبى ، فجلسنا لنستريح وطلبت أنا فنجانا من القهوة ٠٠ وطلب هو فنجانا من الشاي ٠٠ وكنا نختلف اختلافا كبيرا . وكاد الخلاف بيننا يحتدم الى حد كبير خشية أن يكون الشاي أغلى ثمننا من القهوة لاننا اتفقنا على أن نقتسم مامعنا بالتساوى ، فلا بد أن تكون نفقاتنا أيضا بالتساوى ٠٠ ولكن حسم هذا الخلاف الجرسون عندما جاء بالطلبات وقرأنا الورقة وعرفنا أن لا فرق بين الاثنين ٠٠ هذا بالعشرة فى المائة ثمنه تسعة قروش ٠٠ وهذا أيضا بالعشرة فى المائة ثمنه تسعة قروش ٠٠ كل هذا وهو يدون فى ورقة معه ما ننفق ٠٠ ولفت نظرى عندما نظرت للورقة أنه دون ما نملكه أصلا . العشرة قروش التى جانبها الايمن مبلغ ٥١٥ قرشا . ولما سأله قال فى كبرياء وهو ينظر الى شذرا وكأنه يرمينى بالغباء :

— ألم أقل لك اننى رجل اقتصاد ٠٠

ثم نظر الى الورقة وقال مستطردا :

— هذا المبلغ هو رأس المال ٠٠ القروش العشرة التى كانت معك ٠٠

والخمسة قروش التى انفقناها ثمننا لغداء الفتاة .. ثم الخمسة جنيهات التى اشترينا منها السجائر ..

وتذكرت السجائر .. فقلت على الفور :

- ولكنى لا اشرب الدخان .. فكيف تقاسمنى ثمنه ؟

واغتاظ هو هذه المرة ، وقال فى غضب وهو يقدم لى ورقة الحساب :

- انظر ايها الغبى ..

ولما نظرت الى الورقة وجدته كتب فى طرفها الآخر هذا الرقم ١١ قرشا ..

ثم قال وهو يسحب من امامى الورقة فى عتب :

- هذا زيادة لك .. اى تحسب من مدخراتك انت عند القسمة ..

ومرت لحظات تحدثنا فيها طويلا .. تحدثنا عن فئة من نوى الطرايش الذين يجلسون فى جروبى .. ونظرنا الى اثار من التراث ممثلة فى فئة من النساء عاصرن معركة عرابى .. او شاركن فى حفر القناة .. كما تأملنا العديد من الافخاذ كشف عنها المبنى جيب .. وتطلعنا الى كثير من الرؤوس التى تشبه الخنافس .. ومن ثم رحنا ننظر الى المكان الذى ازيدهم ازدياحا شديدا بهذه الاصناف المتباينة التى لاتربطها صلة .. حتى كادت تتعذر الرؤية من كثرة الذى يرى .. وبيتنا نحن كذلك حانت منى التفاتة فاذا بى اراها جالسة على مائدة تكاد تكون قبالتنا .. وتجلس نفس الجلسة .. ذراعها فوق المائدة .. وخداما فوق يدها .. والسيجارة بين شففتها .. وفنجان القهوة امامها .. وعيونها تنظر اليها نفس النظرات .. فقلت لصاحبى على الفور :

- كنت اظن اننا .. انا وانت المجانين فقط ..

- لماذا ؟

- لاننا نتناول وجبة الغداء بأربعة قروش ونشرب فنجانا من القهوة بتسعة قروش ..

فقال ساخرا كمادته :

- هل رايت مجنوننا آخر ؟

ولما راها فكر قليلا وقال :

- لعلها مجنونة بنا ..

فقلت على الفور وكاننى اكرم رجل فى العالم :  
- ماذا تريدین ؟

فحاولت أن تبسم وهى تنظر الى نظرة سريعة جدا ، وقصيرة  
ايضا جدا •• وكأنها تعرفت على كل شيء من خلال هذه النظرة  
القصيرة لأنها قالت :

- ماذا غير خبز وجبن !

فاستدبرت بها سريعا وسرت بها خطوات • حتى بلغنا حانوت  
عم خاطر البقال وهو مشهور فى الحارة وأكثر شهرته ترجع الى  
أنه يسهر طوال الليل • واشتريت منه بعض الخبز والحلاوة الطحينية  
والزيتون الأسود وقطعة كبيرة من الجبن القريش • شتر عم خاطر  
ببيعها •• وانصرفنا غير أننا لم نكد نسير حتى توقفت  
هى عن السير وفتحت حقيبتها • وراحت تبحث فى قلبها عن  
شيء • وتدير اصابعها بين محتوياتها الكثيرة • المنديل الصغير  
الممزق • واصبع الاحمر الصغير وعديد من المسجائر المبعثرة  
فى قلبها • وبعد حين اخرجت ورقة مالية من فئة الخمسين قرشا  
وقدمتها لى وهى تقول :

- أريد زجاجة من الخمر وعلبة سجائر بلمونت صغيرة •

وكان الطلب كان مفاجأة لى لأننى قلت :

- أى نوع من الخمر تريدین ؟

فأبتسمت وهى تقول :

- لا أعرف •• اننى فقط أريد أن أسكر والذى يريد أن يسكر  
لا يعرف نوع الخمر • أما الذى يسكر فهو الذى يعرف أنواعها •  
وفرق كبير بين الاثنين •

- بين من ومن ؟

- الذى يسكر • والذى يريد أن يسكر ••

والحقيقة لم أعرف هذا الفرق • ولذلك أعدت اليها الخمسين قرشا  
•• ورجعنا ثانية فى الليل نقطع طريقا طويلا •• حتى بلغنا - خمارة  
ملحم - وهى مشهورة فى الفجالة شهرة عم خاطر تماما •• لانها  
لا تغلق ابوابها أبدا هى الاخرى • وتركتها عند الباب ودخلت  
واخترقت ذلك المر الصغير فقابلنى عند مدخل الخمارة الواسعة

التي تشبه الدهليز عم سليمان العجوز - كما كنا نسميه - وهو الخادم والجرسون والخمار وبائع السميط أيضا ٠٠ أى أنه هو كل شيء فى خمارة ملحم ٠٠ وطلبت منه زجاجة كونياك ٠٠ ففتح الرجل هنيهة الضيقتين وراح ينظر حواليه وعند قدميه ٠٠ وأيضا بين أقدام السكارى الذين يترنحون فوق مقاعدهم الى أن لمح زجاجة فارغة ملقاة فوق الأرض ٠٠ فتناولها وذهب بها الى حنفية وضع تحتها فى يمين الدهليز نصف برميل يتساقط فى قلبه الماء ٠٠ وغسل الزجاجة جيدا ٠٠ ومن ثم ذهب بها الى برميل كبير كانت الحنفية فى قلبه هذه المرة ٠٠ ومن ثم ملا الزجاجة وأعطاهما لى فأعطيته خمسة عشر قرشا ثمن الزجاجة ونصف القرش له وخرجت ، وعند الباب وجدت كما تركتها فى الظلام حاملة الحقيبة وقراطيس الطعام الذى اشتريته ٠٠ وما أن رأت الزجاجة فى يدي حتى تهلل وجهها وانفجرت أساريرها من إشراقه حلوة كإشراقه الصبح تماما ٠٠ ومن ثم انصرفنا معا الى أن بلغنا - البيت - ومددت يدي وفتحت بابه الخارجى الذى يشبه باب الخوخة ودخلنا ٠٠ ولما احتوانا ظلام الدهليز ٠٠ أشعلت عودا من النقاب ٠٠ فلاح لنا الابواب الاربعة التى على جانبيه منتصبة كأنها المردة فى الليل ٠٠ فلم التفت اليها ٠٠ وإنما رحت أهبط نرج السلم الذى يوصل الى البئر ٠٠ وراحت هى تهبط خلفى دون أن تنبس أو تقول شيئا ، والغريب أننى عندما فتحت الباب ودخلت - الغرفة - وأشعلت المصباح الكهربائى ، وهو الشيء الوحيد فى الغرفة الذى يثبت بالدليل المادى أنها غرفة فعلا ٠٠ وظهرت على ضوئه الخافت محتوياتها ، ان كانت لها محتويات ، لم تندعش ولم تستغرب ٠٠ ولم يلفت نظرها شيء غير عادى ٠٠ حتى لكانها تعرف هذه الغرفة ، وأنها قد دخلتها عشرات المرات ٠٠ أو أنها هى صاحبة هذه الغرفة ٠٠ وأنا الضيف العابر الذى يدخلها لأول مرة ٠٠ وراحت فى هدوء تضع ما معها فوق الترابيزة وترتب ملاء الكنية وتقرب منها الترابيزة وترص عليها قراطيس الطعام ، وتملا القلة ٠٠ وظلت كذلك حتى رتبت كل شيء ، وأعدت كل شيء ٠٠ حتى الحادث الذى كاد يوقعنا فى حيرة ٠٠ تخلصت منه سريعا ٠٠ وهو عدم وجود كوب تشرب فيها الخمر ٠٠ إذ جاءت بغطاء القلة وأعدت منه كأسا كما لحت غنجان قهوة قديما ملقى تحت الكنية فتناولته ونظفته وجعلت منه كأسا أخرى ٠٠ ومن ثم جلسنا كإنسانين سعيدين كل السعادة نأكل ونشرب ٠٠ ونتحدث ونضحك ونلعب ٠٠ وظللنا كذلك ، فغمرنا هذه السعادة الى أن فرغ الطعام ٠٠ وفرغت أيضا الزجاجة التى شربنا كل ما كان فيها حتى ثقل رأسى ٠٠ وأحسست برغبة

شديدة فى النوم .. ولكنى لم أقفل ، بل ظللت فى مكانى اغالب النوم ما استطعت .. ولاحظت فى ذلك ، وكأنها عرفت بذكائها السبب فى مغالبتى هذه الشديدة للنوم .. لانها قامت فى ونزعت أكثر ثيابها أمامى .. ورأيت فيما رأيت البلوزة المثقوبة من عند الكتف والجورب الذى به عدة تمزقات .. كما رأيت بعض الثياب الأخرى الداخلية وكيف انها كانت أكثر قدما وتمزقا وبلى من الثياب الخارجية ..

عند ذلك لم أتردد فى أن أنهض أنا أيضا على الفور .. وأنزع ثيابى .. الحذاء المثقوب والجورب الذى تأكل نصفه .. حتى ظللت بالفانلة التى شبهتها هى وهى تضحك وتغرق فى الضحك بالحمامة اللودبية التى مزقها الرصاص .. وتدغدغت نظراتى قلم اقو على فتح عيني .. التى كنت اذا فتحتها بجهد لا أرى أمامى سوى خيالات لنهد يرمض .. أو شعاع لصدر يلتمع ، أو خيالات لردف يهتز .. أو بریق للحظ .. أو اشراقة لجيد ، أو انتفاضة لجسد .. حتى كل هذا لم أدرك منه شيئا على وجه التحديد . أو أحسدد مصدر الومض الذى ينبعث من هنا أو هناك . أما الذى أوكدته لأننى عرفته جيدا ولم أكن أعرفه من قبل . هو أن جسد امرأة جميلة بجانبك أكثر دفئا من اغطية العالم مجتمعة . ولعل هذا الدفء الذى لم يتح لى طوال السنوات التى قطنت فيها فى هذه البئر . هو الذى جعلنى من كثرة الامتعاع به .. أسبح فى نوع عميق لم أستيقظ منه الا مع ضضى اليوم الثانى .

غير أن هذا الحلم الجميل الذى عشته . تبدد فجأة عندما فتحت عيني فلم أجد فى قلب الغرفة سوى شخص فقط كماكنت أراه دائما كل يوم .. ولما فتحت عيني سريعا . وقتحتها جيدا . ورحت فيما يشبه الذعر أثلفت حولى فلم أرها . وتلفت مرة ثانية وثالثة ورابعة . فلم أجدها أيضا .. وكل الذى رأيته فيما رأيت حافظة نقودى ملقاة فوق الترابيزة . فاصفر وجهى وتدهورت أنفاسى . وتعالث دقات قلبى وراحت تدق أشبه ببندول الساعة المختل فقد كان بها كل ما أملك فى حياتى وهو سبعة وستون قرشا .. لذلك قفزت من فوق الكنبه ومددت يدى فى ذعر لأتناولها . ولكنى قبل أن أفعل رأيت بجانبها ورقة من فئة الجنيه وايضا تسعة قروش بجوارها . فمددت يدى فى ذهول أتحنس هذا الذى رأيت فلمست يدى بجانب الورقة المالية ورقة أخرى قرأت فيها هذه الكلمات :

« تناولت حافظة نقودك لأسرق شيئا . أو بمعنى اصح لاستعين بشيء منها ولو على أيام من أيام الطوال التى لا أدرى متى ستقصى

ولا متى ستنتهى • ولكنى وجدت أن ما معك من نقود يقل بكثير عما  
معى ومادامت أيا منّا واحدة فبديهي أن نقودنا أيضا واحدة •  
ولذلك خلطت ما معك بما معى • ثم اقتسمته مناصفة • فكان  
نصيب كل منا هو هذا الجنيه والتسعة قروش التى تركتها لك كما  
تركنت لك أيضا ثلاث سجاير هى نصف الست التى بقيت معى • •  
والى اللقاء • •

والى الآن ومنذ ذلك التاريخ الطويل التقيت بعدد من الوجوه  
وتعرفت عليها أو ظننت أنني أعرفها • أما الوجه الذى عرفته  
حقيقة فهو الذى لم ألتق به الى الآن • وأغلب الظن أنني لن  
ألتقى به أبدا •



# الاسمى عائشة خليل



اسمى فيما مضى عائشة خليل . وقالوا اننى  
سميت باسم امى . وقال آخرون ان هذا  
الاسم اطلقته على المرأة التى تبنتنى فى القرية  
بعد ان ماتت امى . ولكن كل هذا تغير فيما بعد ،  
كما تغيرت حياتى كلها بعد ذلك التاريخ فقد  
حدث انه عندما جاءت ايام الحصاد وكنا فى القرية ننتظر ايامها حيانى  
العيد . ونتشوف نحن البنات الضائعات فى القرى الى خروج افواج  
التراخيل فى المواسم تسعى الى التفاتيش والمزارع ريمكت  
بالشهرين والثلاثة نضرب فى الحقول والوديان ثم نعود وجيوبنا  
محملة بالقروش والاريلة الفضية التى لانراها الا فى هذه المواسم  
فنطعم ونكسى ونشترى الحلوى . حدث أن رحلت فى ذلك العام مع  
انفار الترحيلة الى بلاد وتفاتيش كثيرة ثم استقر بنا المقام فى  
تفتيش وقف الخصوص .

حقيقة كانت الطريق طويلة والرحلة شاقة كلفتنا الكثير من  
الصعاب ، فقد مكثنا ستة ايام ومث ليال نسير على اقدامنا على  
حر الهاجرة الميت ، وكنا اكثر من مائتى فتاة ومائة فتى ، ودائما  
كان عدد الفتيات فى التراخيل يزيد على عدد الفتيان ، لانهر كما  
كنت اسمع اكثر جلدا على تحمل المتاعب ، وكانت الرحلة لطيفة  
تغلبنا على متاعبها كالعادة ، وكان المفروض علينا ان نتغلب على

المتاعب ايا كانت ، فكنا نضحك ونغنى ونطرب ، وإذا جاء الليل افترشنا أرض أى حقل يقابلنا • مادام بجوار مصرف أو ترعة أو نبع يجرى فيه الماء • وكنا ننام كالقطيع فتيانا وفتيات ونساء ورجالا ، وكهولا وعجائز • وكان يحضن بعضنا البعض الآخر ويتلامس فيه من شدة الصقيع إذا كان الطقس باردا • أو نتعري وننزع بعض ثيابنا ونحن نلهث كالنعاج فى قلب المراعى إذا كان الجو حارا دون أن يعكر صفونا معكر • حقيقة كانت بعض الكباش تنتهز فرصة العثمة والتعب والاستغراق فى النوم ، وترفع قرونها فى الظلام ، ولكن يقظة النعاج كانت لها دائما بالمرصاد • فما أن تزوم نعجة فى الليل حتى تزوم النعاج جميعا ويتعالى صوتها فيضطرب حبل القطيع كله كما لو كان قد سقط نثب فى قلبه وعند ذلك تتراجع تلك الكباش سريعا وتنسجم فوق التراب وتظل كذلك مغمضة العين الى الصباح • وقد انتهت الرحلة دون أن يحدث ما يعوقها اللهم الا بعض أحداث صغيرة حدثت ، ولكننا تغلبنا عليها أيضا • وما من حادث كان يحدث الا تغلبنا عليه • فمثلا حدث أن سرقت زوادة فهيمسة أم على ، وفقد الجوال بما فيه وسرقة ، زوادة ، واحدة منا شيء ليس هناك أبشع منه ولا حتى الموت ، هوى اما أن تجوع طيلة الشهور الثلاثة أو ما يقاربها وهذا شيء لا يقدر عليه انسان ، واما أن تقطع الرحلة وترجع ومعنى ذلك أن تحرم من فرحة العيد الأكبر الذى كنا نقضى العام فى انتظاره ، لأن عيدنا فى القرية الذى كنا ننتظره هو عيد الترحيلة وليس عيد الفطر أو عيد الاضحى ، وهى ان لم تفعل هذا أو ذاك واقترضت من عم متولى ريس الأنفار لتشتري الرغيف من السوق لتأكل ، فمعنى ذلك أنها ستتنفق على طعامها كل يوم نصف الخمسة قروش وهى الأجر الذى كانت الواحدة منا تتقاضاه فى اليوم • وبكت فهيمه بكاء مرا ورحنا جميعا ننظر فى حسرة الى عينيها المحمرتين وقطرات الدموع التى تتساقط منها وكأنها نقاط من الدم دون أن نقدر على أن نصنع لها شيئا • فقد كانت زوادة كل منا مقدرة بمقدار أيام الشهر لا تزيد أو تنقص عنها شيئا • ومقدرة أيضا بمقدار آخر لا يزيد أو ينقص عن ساعات اليوم ، ومقسمة عليه برغيفين ونصف الرغيف ، وهذا النصف هو الذى تتكون منه وجبة الافطار • فإذا ما نقص هذا المقدار ولو نصف الرغيف فسوف تحرم الواحدة منا من طعامها نصف اليوم تماما • وفكرنا فى هذا كله واجهدنا التفكير دون أن نقدر على أن نصنع لها شيئا • ولكن الشقاء دائما إذا كان كبيرا كان الجلد على احتماله كبيرا أيضا • واحتمالك للشئ معناه القدرة عليه • هكذا علمنا





الشقاء نفسه • ولذلك كانت فرحتنا كبيرة عندما تقدمت احدى الزميلات بعد أن رأيت بؤس الفتاة وشقوة حالها • واقترحت علينا أن نشارك الفتاة جوعها وأن تشاركنا هي شعبنا ، وسرعان ما صادف هذا الاقتراح هوى في نفوسنا جميعا فأعطينا كل واحدة منا رغيفا ، أما قطع الجبن ومخلل الكرنب واللفت وأعواد الجلاوين فقد أغدقناها عليها اغداقا • لأن الغموس كان لا يهمننا بقدر ما كان يهمننا الشيء الذي نغمسه به • وبذلك رجعت اليها حياتها ورجع اليها قلبها • بعد أن تضمم جوالها ، تضممت معه الفرحة البالغة في قلبها وفي قلوبنا جميعا • وكذلك لم نجعلها طيلة الرحلة تشعر بأنها تنقص عنا شيئا ، حتى أننا عندما مررنا على أحد الاسواق في طريقنا ، واشتركت جماعة منا ودفعت كل واحدة منا نصف فرش واشترينا كحكة كبيرة من - العيش «الفرنجيلية» - وهو الذي يطلق عليه في البندر - الخبز الافرنجي - أشركتنا معنا في الغموس منه ، وأقور الغموس منه • لأننا كنا لا نأكل هذا العيش إذا ظفرنا به وإنما نأكل عيشنا حتى لا نحرّم سريعا من لذة طعمه ، وإنما كنا نقطعه قطعا صغيرة ونضعه في إناء كبير ، ونغمسه في الماء حتى ينوب ، ثم نغمس عيشنا فيه ونأكل • ومع أن هذه لذة كبيرة إلا أنها مع الأسف كانت لا تتاح لنا إلا نادرا •

وهكذا مر هذا الحادث ، حادث فساد زوادة فهبية بسلام ، وتغلبنا عليه . غير أنه قبس أن نبليغ التفيتش بيومين ، حدث حادث آخر كان لا يقل بشاعة عن سابقه ، فقد حدث أن مرضت ورده ، واشتدت مضاعفات علتها فجأة ، ومع أنها كانت من بدء الرحلة ، بل ومن قبل أن تغادر القرية بأيام مصفرة الوجه شاحبة النظرات تنقلبها من حين إلى آخر رجفة تهز كيائها كله • إلا أنها كانت تأمس في القدرة على العمل ، غير أن حرارتها ارتفعت فجأة في الطريق ، وارتفعت إلى حد مخيف ، وراحت تقوى من حين إلى آخر وتنقلبها من حين إلى آخر أيضا اغماء تغدها وعيها إلى حين ، وقد صنعنا لها أشياء كثيرة ، وضعنا على نافوخها الذي كان يحرق - لبخة - من أوراق الرجلة ، وأطعمناها عدة رؤوس من الثوم لتخفف حدة المغص الذي كاد يقطع أحشاءها ، كما كسرنا لها بصلة كبيرة على رأسها وسكبنا ماءها الحار على منحاريها حتى شرقت به خياشيمها ، كما تبرع لها عم متولى الرئيس ببرشامة - من عنده • ومع ذلك لم تخف حدة الامها بل زادت إلى حد مرعب حتى رحلت وأنا بجوارها ممسكة بيديها الباردين أبكى وانتحب • فقد كانت ورده صديقة عزيزة تربطني

بها صلة رحم كما تربط الاخوة صلة الرحم . فقد ماتت أمها  
كما ماتت أمي . وثبتت كما ثبتت . وعاشت هي في القرية عالة  
على الغير كما عشت أنا . ولذلك كنت أحبها من قلبي وظللت أحبها  
حتى طيلة السنة الماضية التي غابت فيها عن القرية ولا أدري أين  
كانت ، وحتى في تلك السنة كنت أيضا أحبها ، ونظرت اليها وهي  
مسجاة أمامي على الأرض مغمضة العين وعادني البكاء ولكنها  
فتحت عينيها وأشارت الى بيدها المرتعشة أن أعاونها على النهوض  
حتى تدخل مزرعة الذرة لتقضي أمرا . وما أن فعلت وسرت  
بجوارها وهي مرتمية على صدرى حتى انطلقت منى صرخة في  
الليل ولكنها مدت يدها سريعا وكتمت أنفاسي حتى لا يسمعنا أحد .  
فقد رأيت سرورها ونصف جلبابها الأسفل يسبحان في لجة من  
الدم . فقلت ذاملة :

— أنت مجروحة ؟ !

فلم تجب وإنما تمتعت وهي تسقط من يدي على الأرض في  
قلب الذرة بهذه الكلمات التي لم أفهم لها معنى حتى الآن :

— قالت لي خالتي زينب في القرية أن عود الملوخية هو الذي  
ينهى المشكلة .

وظننتها تريد مني أن أجمع لها بعض أعواد الملوخية من الحقل ،  
فأسرعت لأجىء لها بما تريد ، ولكنها أمسكت بذراعي وضغطت  
عليها في عنف وهي تتلوى ، وفجأة انقلبت سحنتها وجهت  
عينها جحوظا مخيفا في الليل حتى غدت أشبه بعيني قطبة تموت  
وتكورت في نفسها حتى غدت كالكرة تماما ثم فجأة انفجرت صارخة  
وهي تغوص بيديها في الطين وجها كذلك فخفت خوفا شديدا  
وارتعدت أوصالي وأنا أنتزع بكل قوتي وجهها المدفون في الأرض  
وأخرج بأصابعي الطين الذي حشى به ثغرها ، ورحت في ذهول  
شديد أسألها عما بها فراححت تقول كلاما يشبه الآنين تماما ولذلك  
لم أسمع منه شيئا ، ولكني عندما وضعت أذني على شفيتها لأسألها  
ماذا تقول ، سمعتها تتمم في نبرات متقطعة بعض كلمات كثيرة .

كل الذي استوعبته أذنائ منها قولها :

— قال لي إنه سيتزوجني .

فعرفت على الفور سر وجيئتها وقلت لها وأنا الطم خدي  
لسداجتنا وقلة عقلنا نحن الفتيات الطبيات :

- الآن واحدا وعدك بالزواج وتخلي عنك تصنعين في نفسك كل هذا !

فنظرت الى بعينها الجاحظتين، وعلت ثغرها ابتسامة شاحبة، وصمتت . وظلت صامطة . وظلت ايضا الابتسامة الشاحبة فوق ثغرها الملوث بالطين ولم تقل شيئا ولم تأت يادني حركة . وكل الذي حدث ان نراها التي كانت على كتفى سقطت فجأة على الارض كما سقط رأسها أيضا من على فخذي واستقر على الارض . . ونظرت اليها فاذا بها كما هي تنظر الى جاحظة العينين وتبتسم لي تلك الابتسامة الشاحبة التي استقرت على شففتيها الملوثتين بالطين ، فخفت وارتعدت فرائصي ، وصرخت في وجهها دون وعي :

- وردة : تكلمي

فلم تجب ، فازداد جنوني وصرخت ثانية بأعلى صوتي وكأني استغيث :

- تكلمي . . أنا عائشة . . أنا خائفة منك . .

لقد كانت هذه أول مرة في حياتي أرى فيها انسانا يموت، ولذلك ظلت أصرخ في وجهها وأنا أهزها في عنف دون أن تكلمني ولكنها أبدا لم تجب

ولقد أحدث موت وردة في نفوسنا جميعا اضطرابا شديدا والاما لا حد لها ، ولم يكن الحزن على موتها بقدر ما كان الارتباك الذي أوقعتنا فيه الجثة اذ كيف نتصرف فيها . وهل نحملها معنا ام نتركها في العراء . ولكن عم متولى تصرف تصرفا طيبا ، وضع الجثة تحت شجرة سنط كبيرة وغطاها ببعض أوراق الشجر ، ثم ذهب الى اقرب قرية مجاورة وأبلغ العمدة ، ولما عاد اختارني أنا بالذات أو أنا التي فضلت ان أبقى بجوار الجثة مادامت الترحيلة ستواصل رحلتها حتى يجيء العمدة وأهل الخير ويدفنها ، ولكن الذي حدث كان أكثر بشاعة من الموت نفسه، فقد حضر العمدة على الفور ومع بعض الخفرء ، ووصلت في اثرهم مباشرة سيارة سوداء كبيرة كريهة اللون ، وهبط منها رجل بدين عرفت أنه الطبيب ، وما ان اقترب من الجثة ورفع ذلك الغطاء الملوث بالدماء وهو قطعة من ثيابها القيت على وجهها حتى لا تظل ترعيني تلك الابتسامة التي مازالت منطبعة على الشفاه الملوثة بالطين ، ورأى العينين البارزتين ، والزرقة التي تمشت في الوجه والجسد كله ، حتى أعاد الغطاء ثانية ، وهو يتعمق بالفاظ لم

اسمها لرجل كان بجانبه وما هي الا لحظات حتى القيت الجثة داخل تلك السيارة أما أنا فقد أمسك بى أحد الخفراء من يدي ، والقي بى القاء داخل ذلك الجيب المظلم وهو قلب السيارة بجوار الجثة ، ثم انطلقت بنا السيارة ولكن الى أين لا أدري . وكل الذى عرفته عندما فتح باب السيارة الخلفى ورأيت الفور ، وجدت نفسى فى فناء مبنى كبير عرفت بأنه مستشفى ورأيت بعض النسوة والاطفال والعجائز يكون ويولولون . وجاءت عربية صغيرة بعجلتين يدفعها رجل يسروال أبيض فضفاض ملوث بالدماء ، وأمسك بحلقة فى قلب السيارة وشدها اليه فاذا بالجثة منطرفة عارية على عربته الصغيرة ، ثم دفعها أمامه وهو يتحدث الى بعض النسوة العجائز ويضحك وكأنه لا يدفع أمامه جثة الى أن دخل بها الى عنبر كبير فى مواجهة الفناء . أما أنا فقد عاد الخفير وأمسك بيدي وظل ممسكا بها كما لو كان يخشى أن أفلت منه . ومكثنا كذلك حيناً ، الى أن رأيت فجأة باب العنبر يفتح ، ويخرج منه نفس الرجل يدفع نفس العربية وعليها شيء لم أتبينه فى أول الامر لأنه كان مغطى بغطاء من الشمع الاسود . ولكنه عندما اقترب منا ومر من أمامنا متجها الى بعيد رأيت بعض نقاط الدم تسيل وتتساقط من العربة على أرض الفناء . فصرخت وولولت منتحبة ولكن الخفير أسرع ولطمنى على وجهي لطمة موجهة قصمت على الفور . وظللت صامتة وظل هو ممسكا بيدي الى أن جاء رجل طويل فارغ الطول يحشو جيب مريسته البيضاء بعدة أوراق ، وأمسك بيده ورقة ووضع فى أذنه قلماً ، واقترب مني

وقال :

— ماذا تبقى لك ؟

فارتبكت ولكنى نطقت على الفور وقلت :

— أختي ..

ولم أكن فى ذلك أعنى سوى حبي لها ، وصلة اليتيم والبؤس التى ربطت بيننا ، وأخيراً هذا الشقاء الذى شاركتها فيه ، قلت ذلك . فنظر الى الرجل لحظة ثم قال :

— أبوك موجود ؟

— لا .

— وأمه ؟

— ماتت .

— من الذى يعولك ؟

— ربنسا .

فارتسم شيء من الحزن على وجه الرجل وقال وهو ينظر فى الورقة التى فى يده :

— أسباب الوفاة ؟

ثم استطرده يقرأ :

— اجهاض ادى الى تهتك فى الرحم ونزيف حاد نتجت

عنه الوفاة .

فلم أفهم شيئاً مما قال ، ولذلك قلت :

— يعنى ايه ؟

فقال وهو يشيح بوجهه عنى وينصرف الى امرأة اخرى كانت تبكى :

— يعنى أختك كانت حبلى !

فشبهت ودارت بى الارض ، ولم أعود أسمع شيئاً ولا حتى صوت الخفير وهو يترك يدي ويأذن لى بالانصراف .

وجدت نفسى فى العراء أسير وحدى ، وظللت أسير وظلت الدموع تروح وتجىء فى عيني ، وعدة أشباح تتراقص أمامى ، وكلمات تطرق أذنى من أن الى آخر . . . وجسه تمشت فيه زرقه مخيفة ، ثغر محشو بالطين ، أنين يصم الأذان ، صراخ لا يكاد يسمع ، جسد يتكور كما يتكور القنفذ تماماً . ثم ينفرد صاخراً كما ينطلق السهم فى الفضاء . . . عود من الملوخية ينهى المشكلة . . . قال لى انه سيتزوجنى: . . . عينان بارزتان جاحظتان . . . شفتان ملوثتان بالطين وتنشقان عن فجوة مظلمة مخيفة كثيفة وتقعده عليهما ابتسامة مخيفة لا تتزعزع كما تقعد فوق فجوة فى حائط مهدم . . . سيارة سوداء كريمة . رجل بدين . . . رجل آخر يدفع جثة على عربة صغيرة . . . نفس الرجل يعود بالجثة مبقورة البطن تنزف منها الدماء وتسيل من العربة على الارض . . . كلام لا أفهمه ، وكلام غيره لا أعيه . . . كلام آخر يخرم أذنى . . . أختك حبلى . . . وشعرت وأنا أسير بضيق شديد . . . وأحسست ببغض وكراهية لا خد لهما لكل رجال قريتنا وشبابها . . . ورحت أراهم وأرى وجوههم ، ولاسيما الذين كانوا يتندرون معنا ويخصون

وردة بالذات بابتساماتهم وأحاديثهم العذبة ورأيت وجهه على وحميدة  
ومحمود ، وعبد الستار ، وأبو سسنة ، وزيدان ، وخطاب ،  
والببلى ، وسالم ، وخليل ، وعبد المغنى ، ورأيت وجوههم جميعا  
وتبدت لى كوجوه الكلاب الضالة أو الثعابين الجائعة فبكيت  
بكيت بكاء شديدا ، ولم أبك هذه المرة من أجل وردة كما كنت أبكى  
طول النهار • وانما بكيت من أجل نفسى ، إذ أين أذهب وأين أقيم ،  
إن لم أرجع ثانية الى القرية التى كرهت أهلها •

وظللت أسير ، وظلت هذه الاشباح تطاردنى ، وهذه الكلمات  
تطرق اذنى ، وتلك الوجوه التى تشبه وجوه الكلاب والثعابين  
تطالعنى أينما تلفت ، كما ظلت الدموع تروح وتجىء فى عيني ،  
وتتساقط حينا حتى تسيل على صدرى وتبتل بها ثيابى ، وتجف  
حينا حتى تحترق عيناى ، الى أن بلغت المتفتيش ، ورأيت عند  
أقصى ما تصل اليه نظراتى التى اتعبتها الدموع ظللا صغيرة  
أشبه ما تكون على الارض الخضراء وأكوام الحصاد الناصعة  
بالنقط السوداء التى لوثت الثوب النظيف • فعرفت فيها لداتى  
واترابى وأهلى وعشيرتى • ففرحت وهزنتى هذه الفرحة وفاضت  
على قلبى سرورا وسعادة عندما بلغت جموعهم ، وجدت جوال  
زوادتى كما هو لم يمس •







# حياة



التحقت بخدمة الزعفراني بك كسائق لمسيارته  
البويك موديل ٤٦ ، كان الشيء الوحيد الذي  
حرصت عليه هو أن أحافظ ما استطعت على هذا  
الرزق الذي أتيت لي . وعلى لقمة العيش هذه التي  
ظفرت بها بعد طول عذاب وطول انتظار وطول  
دموع زرفتها عيناى . فقد علمتني الايام والشهور الستة التي  
عشتها شريداً أقطع عشرات الاميال فى اليوم أبحث عن عمل بعد  
أن طردت بلا سبب من خدمة أسرة عبد القوى بك التي كنت أعمل  
عندها ، حتى تهراً حذائى وانبتق الدم من قدمى دون فائدة ،  
ودون أن أعرف حتى سبب طردى المفاجئ ، بلا سبب سوى ما قاله لى  
يوما عم عبده بواب منزل عبد القوى بك الذى التقيت به صدفة فى  
الطريق ، فاشفق على ورثى حالى وتالم لفقرى حتى أنه حاول أن  
يعطينى عشرة قروش اشتري بها طعاما فرفضت رغم أنه كان لى  
ثلاثة ايام لم أتناول سوى نصف رغيف بقى من رغيقين كنت قد  
اشتريتهما من ايام .

قال لى عم عبده بالحرف يذكر لى اسباب طردى بلا جريرة أو  
ذنب . ان السبب كما يبدو وكما سمع طرفا منه من بعض الخدم .  
هو أننى شاب فى شرخ الشباب وسيم وجميل وفى الطمعة . هكذا  
قال . وان البك عنده بنات - فابرين - هكذا قال أيضا ، وانى

بحكم عملي أخلو بهم كثيرا اذ اذهب بهم وحدي الى المدرسة وأعود بهم وحدي من المدرسة . وهذا فيه ما فيه من خطر لا تحمد عقباه .

ومع اني اعطيت عبد القوي بك كآب بعض الحق فيما ذكر . وبعض الحق فيما فعل من أجل الحرص على بناته ، الا أن هذا السبب لم يدر لي بخلد ، فأنا انسان لي خلقى ولي ديني ولي مبادئ وأنا أصلا من أسرة كريمة ، لا تقل أصلا عن أسرته خلقا وكرما ، لولا ظروف الزمن التي أطاحت بأسرتي وألقت بي كطائر صريع في بستان . . يستند الى غصن أو يتعلق بقرع . أو يستظل بشجرة بعد أن كنت أنا الغصن والفرع والشجرة والبستان نفسه . . ومع ذلك ما ذنبى أنا اذا كان الله قد خلقني وسيما جميلا وفي الطلعة . كما يقول عبد القوي بك .

ولما لم أجد في الحديث فائدة ، ودعت عم عبده شاكرًا له هذا العطف ولما انصرفت أحسست بضيق شديد من أولئك الذين يحكمون على الناس بالمظهر دون أن يتعرفوا على خلقهم وسلوكهم ، وأن كنت في نفس الوقت شعرت بعد هذا الحديث باطمئنان لمصري في عملي الجديد ، إذ أن الأسرة التي التحقت بخدمتها وهي أسرة الزعفراني بك . لم يكن فيها والحمد لله بنات «فائرين» أو «غير فائرين» يخشى على مصيرهن مني فأطرد كما طردني عبد القوي بك فقد كانت هذه الأسرة الجديدة قوامها ثلاثة أفراد فقط ، هم الزعفراني بك والسيدة الجليلة زوجته . وابنيهما الوحيد يسرى . وهو طالب في السنة الثالثة الابتدائية وأكاد لا أراه الا نادرا لأنه يروح ويجيء في سيارة المدرسة أما السيدة الكريمة والدته ، فقد كانت سيدة فاضلة حقا ، وقور متدبنة . . وكانت متواضعة الى حد كبير حتى أنها كانت تعاملني كابن لها . . وكانت لا تناديني أبدا بذلك اللقب المعروف لوظيفتي « يا أسطى محمد ، بل دائما كانت تقول يا محمد أفندي وإذا طلبت مني شيئا كانت تتواضع وتقول فيما يشبه الرجاء يا ابني . وقد كان تواضعها هذا يخليني كثيرا . بعكس سعادة البك فقد كان متعجرفا ومتعظما الى حد كبير يثير السخط وأحيانا الحنق أيضا . وكان زغم سنه التي تزيد على الخمسين . متألقا الى حد يلفت النظر ويرتدى دائما الثياب الفاقعة الألوان ، والقميص الحريري الخفيف النسيج حتى أن ثدييه والشعيرات البيضاء التي تغرقهما تكاد تبدو واضحة من خلال المفانلة الرقيقة النسيج والقميص الخفيف . . هذا بخلاف



البياقة المنشأة العالية التي تكاد تخنق رقبتة وتجعله لا يحركها الا بصعوبة . وكذلك كانت الكرافة الزاهية التي يتوسطها دائما اللبوس الذهب الذي تحلى رأسه قطعة كبيرة من الماس تشبه تماما فى حجمها وفى بريقها بريق وحجم فص الخاتم الماسى الذى يحلى به اصبع يده اليسرى وكان هذا كله يختلط بريقه ببريق شعره الذى وخطه الشيب من كثرة الدهون التى دهته بها ، هذا بخلاف المنشأة الطويلة التى تشبه ذيل الحصان ويدها التى من الصدف التى زينها بانسيال يحمل الحرف الاول من اسمه والتى كانت لا تفارق يده أبدا . وكان سعادته طويلا فارح الطول . . مما جعل وسامته وأناقته تبرز هذا كله وتجعل المعين تخطر عليه دون سواء من الرجال .

وكان الزعفرانى بك يشغل فى ذلك الحين وظيفة وكيل وزارة . وشاغل هذا المنصب فى ذلك الوقت كان الها وإذا تواضع فهو أحد سدنة الله فى الأرض يعطى ويأخذ ويعز ويذل ويقهر وينصر . وكان يجيد تمثيل دوره اجادة تامة . كان تماما فى البيت أوفى الوزارة أشبه ما يكون ببيوسف وهبى عندما يمثل على خشبة المسرح ويتقمص دور الامبراطور . أو دور القيصر . أو الكاردينال . . وكانت الابتسامة لا تعرف طريقها أبدا الى ثغره . وأيضا كان لا ينطق الا نادرا ، انكسر اننى كنت أمكث بالشهر لا أسمع له صوتا . فقد كنت كل ليلة عند المساء أنتظره بالسيارة عند باب الحديقة حتى يقبل وهو يجر ساقيه متهاديا كالطاووس . فاهرع على الفور وافتح له باب السيارة وأنا أنحنى حتى يكاد رأسى يبلغ قدميه فلا ينظر حتى الى . وعندما يركب أغلق الباب وأسرع الى المقود واذهب به كما هى العادة كل ليلة الى مطعم سان جيمس وكان مكانه اذ ذاك امام سينما ديانا الآن . وعندما أقف بالسيارة امام باب المطعم تتكرر نفس الحكاية أهبط سريعا وافتح له الباب وأنحنى حتى يبلغ رأسى مكان قدميه الى أن يدخل فأعود أنا الى السيارة وأجلس فى قلبها أنتظر حتى ينتهى سعادته من سهرته التى كانت تمتد الى الواحدة والثانية صباحا كل ليلة فأعيد نفس الحكاية الى أن يصل الى البيت دون أن ينبس أو تسمع اذنى غير صوت محرك للسيارة فى الليل . وانكسر ذات ليلة أن سعادته خرج من المطعم متأخرا على غير العادة فوجدنى فى قلب السيارة وقد استغرقت فى نوم عميق دون أن أدري فمسد يده فى كبرياء وراح ينقر على زجاج النافذة ففطنت اليه عندما فتحت عيني ، ولما رأيته امامى اترعبت رعبا شديدا وألقيت بنفسى سريعا من

السيارة فانزلت قدمي وسقطت على الارض ولاحظت وانا انهض  
 مريعا في خوف انه كان يريد ان يبتسم ولكنه لم يفعل ، اذ زم على  
 شفتيه وقطب في غضب حتى نوى مابين حاجبيه المزججين فازدبت  
 رعبا . ومن ليلتها جرمت على عيني النوم في قلب السيارة امام  
 سان جيمس مهما طال بي السهر حتى ولو اذن الفجر .

ومع ذلك كنت راضيا ومطمئنا ايضا ما دام لم توجد هناك  
 منغصات تهددني في رزقي كما كان يحدث لي سابقا عند الاسر  
 المتعددة التي عملت عندها من قبل . فقط كانت هناك اشياء  
 صغيرة كتلك التي تحدث دائما في كل بيت ومع كل حاسم أو كل  
 سائق سيارة . منها متطلبات السيارة وحاجتها الى كثرة الانفاق  
 عليها لقدمها نماما كحاجة الرجل المسن الى الادوية والعقاقير  
 ليعيش . ولكنني استطعت ان اتغلب على هذه المشكلة بحبرني  
 السابقة لذلك كنت أقوم باصلاح ما يمكن اصلاحه . ماعدا الاشياء  
 الدقيقة أو التي تختص الى تغيير . ومن هذه المنغصات ايضا  
 أو لعلها كانت من المشكلات مشكلة كوثر - وكوثر هذه هي الخادم  
 الوحيدة في كل هذا البيت الكبير - فلقد كانت مشكلتها معي منغصة  
 للغاية فهي فذاة حبيثة خبثا يحسدها الخبثاء عليه . وذكى ايضا  
 ذكاء مذهلا لدرجة انه يدهشك كيف يتوافر كل هذا الذكاء وكل  
 هذا الخبث لفتاة ريفية جاهلة لا تعرف الالف من الباء ، ولا تعرف  
 الفرق بين البرتقال والارنج مثلا . حقيقة كانت جميلة جمالا رائعا .  
 يأخذ طلبك وكان جمالها ايضا حطيرا فيه نفس الخبث وفيه نفس  
 الذكاء بحيث يستطيع ان يوقعك في شباكه بمجرد أن تطرح هي  
 الشباك . ولولا أن الله يجنب بعض عباده السوء وينجيهم من  
 الشرور ولاسيما من هم مثلي يعبدونه كل هذه العبادة ولا يريدون  
 من دنياهم أكثر من لقمة العيش التي يتبلغون بها لكنك وقعت في  
 شباكه من أول نظرة ، ورحت أتلقى بين رموش عينيها الطويلة  
 تماما كما تتلقى السمكة عندما تطبق عليها خيوط الشباك . ولم  
 تكن هذه الخطورة تكمن في عينيها الواسعتين فقط ولا في رموش  
 عينيها الطويلة فقط هذه الرموش السوداء التي تشبه رقى التعاويذ  
 والسحر . . وانما كانت هذه الخطورة تكمن أيضا في كل جراحة  
 فيها في قوامها الفارع المشوق كغصن الربيع . في جسدها الملتف  
 المكتنز الشبيه بتمثال من المرمر ويبدو لك هذا واضحا في كل  
 انحناء وفي كل انخفاض وفي كل سفح وفي كل قمة من قمم هذا  
 التمثال الرمري الرائع . وكان هذا الخطر يكمن أول ما يكمن  
 في شفتيها بالذات هذه الشفاه الغليظة المتلمظة دائما . وكان يكمن

ايضا فى ذقنها الحسلو الطرى كالملين والذي يشبه الى حد كبير نصف كمثرية طازجة يجمع هذا الذقن الحلو شريط عريض اخضر من الوشم الذى بلون البرسيم فى نضرتة • وكان وضعه تماما فوق الذقن وتحت الشفاه وكان فى لمعانه وزهوه وشموخه كعلم بولة لم تعرف فى حياتها غير الانتصار • • • • • ولست ادرى لماذا كنت كلما تطلعت الى شفاه هذه الفتاة ، شعرت بالخوف الذى تكاد ترتعد له فرائضى فقد كنت اتخيل دائما هذه الشفاه الغليظة المتلمظة اشبه ما تكون بسداده لقنبنة مليئة بأخطر انواع السم المركز الذى لو ثرة منه تطايرت قتلت على الفور وابادت للحظتها ، ولذلك كنت دائما اتحاشاها ولا اسمح لها ان تخطو بى او تتحدث الى ولا حتى الحديث العابر • ومع ذلك فقد كنت من سوء الحظ وخيبة الطالع اراها كثيرا واتحدث اليها ايضا كثيرا فقد كانت هى التى تأتى لى بالطعام فى الجراش وهى التى تعد لى الشاى او القهوة احيانا • وكانت سلطتها فى البيت كبيرة وأوامرها نافذة على الخدم امثالى أنا وعم اسماعيل الجنائنى وعم عريان البواب وفرغلى بائع اللبن وحسنين بائع الصحف • وكان عم اسماعيل كثيرا ما يحدثنى عنها وعن خطرها وبطشها بمن تريد اذا رغبت • ويقول لى بالحرف :

- حائر يابنى من هذا الاخطبوط الذى يبدو فى صورة ملاك ويتزى بزي احدى حوريات الجنة فان أوامرها فى هذا البيت نافذة وكلمة واحدة منها لها فعل القنبلة التى تنسفنا جميعا - ولما كنت انا له عن سبب هذا السلطان ومن الذى اعطاه لها • كان يمد يده المرتعشة ويمسح بها على لحية البيضاء المشتعلة ويقول - ان الست الكبيرة تنق فيها ثقة عمياء • وايضا تحبها كثيرا لان أمها اى ام هذه الخادم كانت هى الدادة للبك الصغير • ولست ذاتها ثم ينتهى قوله هذا دائما بتهيدة طويلة ويتم بصوت خافت لا يكاد يسمع ، هذه الجملة دائما التى كانت ختام كل حديث • • • • • الله أعلم بالسرائر ، ولعل قول عم اسماعيل هذا هو الذى اثر فى تأثيرا كبيرا مما جعلنى أخشى هذه الفتاة ، وأخافها وأتجنبها ما استطعت • حتى ائنى كنت اهرع الى الله فى جنح الظلام وأسأله ان يجنبنى شرورها وأن يجنبنى كيدها ان أرادت ان تكيد لى • واحسست أنه تعالى قد استجاب الى دعائى اذ عرفت كيف أعاملها كزميل فقط وأجعلها تعاملنى كزميل شريف يتوجب على الناس احترامه • • • وقد جعلنى هذا اطمئن على مستقبلى الى حد كبير • ولكن لم أكن ادرى وأنا كذلك بأن القسدر يخبى لى ما لا أريده وأن يورطنى فيما لم أكن

أود أن أتورط فيه، ورغم أنني جاهدت جهاد الانبياء حتى لا أتورط في سوء مع هذه الفتاة ، وكان الذي يهمنى بالدرجة الأولى كما قدمت . وأضعه دائماً نصب عيني هو مثلي وشرفي وديني وخلقي الطيب الذي ربيت عليه ، وحرصى الشديد على ألا لوث الإساءة الذي أكل فيه أو أشرب منه . وربما كان هذا الحرص سببه أيضاً ودون أن أدري هو تمسكى بالدرجة القصوى بلقمة العيش هذه التي ظفرت بها بعد طول عذاب وطول دموع كما شرحت قصتي في بدايتها . ولهذا كان الصراع الخفى بيننا على أشده . لأنها كانت كلما وجدتنى فى طريقها . راحت تأتى بالأعاجيب كما لو كانت يهلوانة فى سيرك ومى تستعرض صنوف الأغراء ، وضروب الغواية . واشعال النار التي كانت تطلق شرارتها الشرارة تلو الأخرى فتكاد تمزق الجسد وتشعل فيه النار حتى أن السننتها وحرقة جذوتها تكاد تنسينى كل شيء حتى الإساءة الطاهر الذي أكل فيه والوعاء التنظيف الذي أشرب منه . حتى القيم التي تمسكت بها ، والمحارب الذي عشت فيه كالراهب الذي يغلق عينه عن الرؤية جميعاً سوى تلك النافذة التي يطل منها على السماء يدعو الله أن يجنبه شرور هذه الدنيا وأثامها كدت أنساها وأغفل عنها . ومن سوء الحظ أن الله تعالى ولحكمة لا نعرفها . يخص فئة من عباده بامتحان مرير لا يستطيع أن يجتازه حتى نبى .

وأنا لن أتحدث عن قسوة هذا الامتحان ومرارته . ولا عن الشراسة الأولى أو الثانية أو الثالثة أو حتى المائة التي حرقتنى، وإنما سأحدث عن اليوم الذي تحققت فيه الهزيمة وكان خيبة آمال الأشياء كثيرة . عشت على أكثرها عمرى . لقد تمثل لى هذا اليوم أشبه ما يكون بحلبة للمصارعة ، يزدحم فيها ملايين البشر ليشاهدوا ذلك الصراع الأبدى بين بطلى البشرية العملاقين - الرجل - والمرأة - وقد تزود كل منهما بأسلحته . أحدهما بمثله وخلقه وقيمه وإيمانه . والاخر بأسلحته الدنيوية المدمرة والمسمومة يشتمى أنواع السم المزعاف الذى يقتل ويميت ويدمر . يقتل بالبعد ويقتل بالقرب . يقتل بالهمس ويقتل باللمس ، يقتل بلقمة جيد ، ويقتل بارتدادة طرف أو اغفاءة هيب ، يقتل حتى من رعشة نهذاؤ هزة ردف .

ومع كل هذه الأسلحة المزودة بكل هذه السموم . ومع كل تلك الأسلحة التي يحملها الطرف الآخر والمزودة هي الأخرى بكل ما هو واق

ومحصن وشاف لكل جرح . وثرى لكل سم فان الجولة الاولى لم تكن  
تبدا ، ولم تكن تمر الثواني الاولى حتى كانت الضربة القاضية .  
وخرج المتفرجون جميعا وكلهم ايمان بالخطا الاكبر الذى تورطوا  
فيه والذين يتورطون فيه دائما عندما يحضرون هذه المباريات  
بالذات لمعرفة ايهما سينتصر . اذ ان النتيجة لم تخطئ ولا مرة  
واحدة منذ الخليفة الى الآن . منذ ان خلق الله آدم وحواء .  
الرجل . والمرأة .

كان اليوم الذى حدده القدر لهذه المباراة ، يوم جمعة ، وهو  
اليوم الذى لا تخرج فيه السيارة من الجراش . اذ ان السبت الكبيرة  
لم تكن لتخرج الا نادرا جدا . وسعادة البك لم يتصور الخروج  
نهارا فى هذا اليوم وكنت كما هى العادة فى كل يوم جمعة . اقضيه  
فى تنظيف السيارة ، واصلاح ما يكون فيها من خلل وتغيير  
الزيت . وكان الجراش داخل البيت وكان باب به بجوار باب السلم  
الداخلى مباشرة . وهو السلم الذى كنا نطلق عليه - سلم الخدم -  
وكانت كوثر تنظف زجاج النوافذ وابواب غرف البيت جميعا .  
والتي كانت تخصص لها هذا اليوم بالذات تغسلها وتنظفها  
وتمسحها بورق الصحف القديمة التى كانت تجمعها طوال  
الاسبوع لهذا الغرض . وكنت فى ذلك الوقت مرتديا الافول .  
او العفريتة بلغة اصحاب ورش اصلاح السيارات . وكنت مستلقيا  
على ظهري تحت السيارة اعالج فك - طبخة - الزيت لاستبدال  
للزيت باخر جديد وكانت الطبخة - مرزجة - فأتعبتني وأرهقتني  
ارهاقا شديدا حتى تلوثت ثيابى ووجهى بالزيت والشحم الاسود  
الذى يشبه القار والعرق يتصبب منى وبينما أنا كذلك أحسست  
بما يشبه حفيف الثوب . أو وقع الخطى عندما تتحسس الاقدام  
الحذرة مكانها وتسير فى وهن وكأنها تسير فوق الماء . أو فوق  
قل من الرمال الناعمة . ولما نظرت من تحت السيارة لم أتبين من  
خلال عجلاتها غير قدمين حافيتين مبللتين بالماء . ورأيت بالقدم  
اليسرى خلخالا قويا يلتصق التماع القدم الجميلة المبتلة ، فعرفت  
على الفور انها كوثر . ولست أدري لماذا فجأة دق قلبى وأحسست  
بنبضه أشبه ببندول الساعة المختل ، وشعرت بصدري يقبض  
انقباضا شديدا حتى أنه راح يعلو ويهبط كالقربة وضايقتني أنها  
تجئ الى الجراش الان وبهذه الطريقة التى تشبه التسلسل فى  
الظلام . فالتقيت بالمفاتيح الحديد التى كانت فى يدي وخرجت  
لها من تحت السيارة متجههم الوجه مكفهر والسحنة اضغت على  
قبضة يدي فى عصبية شديدة دون أن أدري . وكأننى أريد أن أشج



راسها بقبضة يدي . ولكنى عندما نظرت اليها وجدتها فى وضع  
يثير العطف أكثر مما يثير الغضب . فقد كان يبدو عليها الارهاق  
الشديد ، والتعب الذى لا حد له . وكانت مرتدية ثوبا قديما ممزقا  
وكان الثوب مبتلا حتى لكانه غرق فى لجة من الماء مما جعله يلتصق  
بجسدها التصاقا شديدا ولاسيما من فوق البطن مما جعله والجسد  
قطعة واحدة . . حتى انها كادت تبدو عارية تماما لدرجة ان تلك  
الاستدارة الصغيرة التى تتوسط البطن ، والتى تشبه الثقب فى  
ثمرة ناضجة . رأيتها بوضوح . كما رأيت أشياء أخرى كثيرة  
من خلال التمزقات العديدة التى فى الثوب ، ولولا اننى كنت قد  
قرأت أو سمعت لا أدري ، بأن ملابس النساء تبلى وتتهرا أول  
ما تبلى من عند أماكن البروز فى الجسد ومن فوق قمم العالية .  
لظننت انها هى التى تعمدت أن تجعل بالثوب هذه المزق وفى هذه  
الاماكن بالذات . . والا ما معنى أن أكثر هذه الثقوب وضوحا هى  
التي فوق اتحناء الكتف وعند الابط ، أو فوق استدارة الريف .  
أو فى هذا المكان بالذات فوق الصدر . لدرجة أنك تستطيع اذا  
أمعنت النظر أن ترى ما يشبه منقار العصفور المتعرد يمتد اليك  
من خلال تمزقات الثوب كما يمد من خلال أسلاك قفصه الحبس  
فيه محاولا أن يقرضها ليخرج الى الدنيا . .

وبطبيعة الحال ومن نعمة الله على أيضا . اننى لم أهتم بشيء  
من هذا كله ، أو حتى أفكر فيه أو أعيد النظر بل سألتها على الفور  
وفى لهجة لا تخلو من عنف ، بل ربما كانت أول مرة أخاطبها فيها  
بهذه اللهجة العنيفة وأنا أسألك عما جاء بها الى هنا الآن ؟  
فقالته وكأنها تلهث ، بل كانت تلهث بالفعل وهى تشير الى رعاء  
فارغ كانت تحمله . .

– أريد أن أملا هذا بنزينا .

– لماذا ؟ . .

– قتلها فى عنف .

فقالته فى ارهاق وشفتاها ترتعشان :

– أخلطه بالماء وأنظف به الزجاج .

فحولت وجهى عنها وقلت فى ضيق وأنا أشير الى خرطوم من

البلاستيك كان معلقا بمسمار فوق حائط الجراش :

– هذا هو الخرطوم . وهذا هو خزان البنزين – ورفعت لها

الغطاء ، وعليك أن تضعي طرف الخرطوم في الخزان وتمصي من طرفه الآخر بشفتيك حتى يجيء البنزين فاملئي الوعاء ..

فعلت ماقلته لها دون أن تنبس ولما جلست القرفصاء ووضعت الوعاء بين فخذيها وطرف الخرطوم بين شفتيها وراحت تمتص البنزين من قلب الخزان تركتها وانصرفت الى مقدمة السيارة . وفתحت علبة الزيت ورحت أفرغ ما فيها في خزان الزيت وإذا بي فجأة اسمع صرخة مكتومة وبشيء ثقیل يسقط على الأرض . فالقيت بعلبة الزيت وأسرعت اليها فإذا بها منكفئة فوق أرض الجراج غارقة في لجة من البنزين الذي تصاعدت رائحته . وكان ظهرها لى وثوبها الغارق في المسائل الحارق ملتصقا برديها العاليتين حتى كأنها عارية تماما . فارتبكت وأغمضت عيني على الفور . وأنا أسألها سريعا ماذا حدث : فتمتمت وهي تتلوى فوق الأرض من الألم :

- انزلت قدمي ومن فوقى وعاء البنزين بعد أن ملأته . ومن ثم راحت تتلوى ثانية فوق الأرض . وكأنها أفعى مضروبة على أم رأسها تتلوى فوق بساط من العشب فامسكت بيدها وانهضتها وأنا في حالة من الاضطراب والاستياء أيضا لأنها كانت تتألم حقيقة وأوقفتها بجانب الحائط ولما استندت اليه أسرعت الى - الجلد - الذي انفض به السيارة والذي يمتص السائل سريعا ورحت أعصر لها الثوب وامسح بالجلد على صدرها وكتفيها . وكانت فخذها اليمنى هي أكثر شيء يؤلمها . وكنت متحرجا أن أرفع طرف الثوب وامسح عليها بالجلد . فمدت هي يدها ورفعت طرف الثوب . وكان السائل يغرق فخذها بالقفل . فرحت وأنا مغمض العينين أمسح عليها وأنظفها من السائل ، بيد أنها فجأة استدارت الى الحائط ودفنت وجهها في قلب ذراعها فوقه وهي تقول مجهشة وكأنها تصرخ من الألم :

- أرجوك .. ابتعد .. ابتعد .. أبعد يدك ، ان هذه النار التي تحرقني لا تساوي شيئا بجانب جمرات أصابعك كلما مست جسدي .. أرجوك ابتعد .. أبعد .. أبعد .. لا تجعل أصابعك تلمسني .

فرددت يدي سريعا في ذهول . ووقفت مشدوها وأحسست على الفور أنني تجمدت في مكاني كما تتجمد كتلة من الثلج . وسقط الجلد من يدي . وظللت كذلك دون أن أقوى على تحريك قدمي أو

حتى تطرف عيني ولما رأيتني كذلك استدارت لى وهى مازالت  
تجهش • فرايت وجهها الذى أغرقته الدموع • فازدادت دهشتي  
وكنت قد قدرت على أن أغلق عيني فأغلقتهما • وكنت قد قدرت  
أيضا على أن ابتعد فلما حاولت اقتربت هى منى لاهثة تترى  
أنفاسها وكأنها تخرج من بئر عميقة وتتم بصوت محموم أشبه  
بصوت المريض الذى فى النزاع الأخير وهو يسأل طبيبه هل  
سيعيش وقالت وهى تمسك بكفى وتهزهما وكأنها تهز حجرا  
صلدا :

- هل سارك •• قل نعم •• لا تقل لا •• أرجوك •• أرجوك  
•• قل نعم •• ثم جفت بعض الدموع وهى تستطرد وتهز كفى :

- قل نعم •• قل نعم ••

وكانت غاية ما أتمناه أن تتحرك شففتى لأقول لا •• لا •• بل  
والف لا •• ولكنى لم أقدر • وكل الذى قدرت عليه أنى عندما  
أحسست بأنفاسها تتحسس وجهى وشففتيها تتحسان شففى ••  
وصوتها ينصب فى أذنى كأنه النار •• وهى تقبلنى فى أذنى  
وتتمتم :

- الليلة السابعة والنصف عند باب سور حديقة الحيوان •  
حركت أنا أيضا شففى ولما عرفت أنني قادر على النطق قلت  
وأنا أتمم بصوت خافت جدا كصوت الطبيب الذى يعرف بأن  
مريضه قد مات :

- حاضر السابعة والنصف عند باب سور حديقة الحيوان •

ولا أدري بعد ذلك هل قبلتني ألفا أو أكثر ولكن الذى أعلمه  
أنها بعد أن خرجت من الجراش • وقفت حينما ألهمت أعياء وظللت  
كذلك زمنا لا أدري هل طال أم قصر • أما الذى أنا متحقق منه أن  
الساعة لم تكن تبلغ السابعة والنصف حتى كنت أرتدى أبهى  
حلة عندى وأروح وأجىء أمام باب سور حديقة الحيوان • وعينائى  
معلقتان الى الطريق الذى أمامى أنتظر أن تهل على طلعة كوثر •  
وما هى الا لحظات حتى هلت طلعة بالفعل ولكنى لم أكن أبدا  
أنتظرها • كانت هذه المصلحة التى هلت على فجأة هى طلعة السيارة  
البليك موديل ١٩٤٦ يقودها سعادة البك نفسه وبجواره الست  
الكبيرة وما أن وقف بالسيارة أمامى مباشرة حتى ألقى فى وجهى  
على الفور بثلاثة جنيهات كأنه كان يمسك بها فى يده • كما ألقى  
معا أيضا وفى وجهى كذلك ببصقة كبيرة من فمه وهو يقول :

- هذا حسابك وحذار أن تقترب ثانية من البيت والا لقيت بك فى السجن • ثم استطرد وهو يلتفت الى السيدة زوجته ويقول :

- كيف لا تصدقين •• هل صدقت الآن ؟

ولما أدار محرك السيارة وهم أن ينصرف قالت السيدة الكريمة زوجته وكانت ممتعة الوجه :

- أنت الذى كنت أقول عنك انه •• طيب وابن حلال •  
وانك تصلى •

وأرادت أن تقول شيئاً آخر ولكن سعادة البك أطلق لسيارته العنان • فوقفت مكانى متجمدا • ومنذ تلك اللحظة والشيء الذى مازال يرهقنى التفكير فيه ارماقاً شديدا • ويرهقنى أكثر مما أرهقنى تلك الدوامة التى يلا ماء • والتى مازلت أدور فيها بحثاً عن اللقمة حتى اليوم • هو عم اسماعيل الجنائى عندما التقيت به واتفقت معه على أن اتسلل ذات ليلة فى الظلام واقترب خلصة من سور الحديقة ليلقى الى من خلف بئابى التى كانت فى الجراش وتأنيه لى لأننى لم أستمع الى نصيحته عندما حذرني من ذلك الاخطبوط المسمى بكوثر • والسر الحقيقى لكل الذى حدث • وهو ان سعادة البك يهيم غراما بكوثر • وأنه يغار عليها من الهواء • وأنه منذ اليوم الذى التحقت فيه بخدمته • وهو يصير على طردى بحجة أننى شاب ومستهنر وأننى لست على خلق • بينما تصر المست الكبيرة على بقائى بحجة أننى طيب وابن حلال وأننى أصلى • ولما انعدمت كل وسيلة عند سعادة البك لاقتناعها بوجهة نظره • راهنها على أن يمتحنا أخلاقى • ولما اتفقا، أطلقا على كوثر ككلب الصيد لتوقع بالفريسة •

أقول ان الشيء الذى مازال التفكير فيه يرهقنى منذ أن عرفت ذلك • هو أننى اذا أعطيت العنبر لعبد القوى بك • الذى طردنى من خدمته خوفاً على بناته منى، بحجة أننى أخلو بهن أحيانا بحكم صلى • وبحجة أنهم فى سن فائرة • وأنا فى سن الشباب ووسيم وفى الطمعة •• أقول اذا جاز لى أن اعطى له هذا الحق • فكيف اعطيه للزعفرانى بك الذى طردنى من خدمته وشردنى فى الطرقات خوفاً منى على •• على عشيقته •• ولكن لم لا ٩٠٠



# الغلا وسرهد



شديد دلفت الى المبنى فى الظلام . وفى خوف متزايد التفتت الى الوراء ، ولما لم تجد احدا يراها استردت انفاسها ، ولما اصلحت من هندامها راحت تخرق المر وتتخطى بعض ابواب الشقق ، وهى تبحث عن باب معين بالذات وصف لها وصفا دقيقا ، وكأنها لم تكن تريد أن تتعرف عليه لانها عندما وقفت امامه عاودها نفس الاضطراب ونفس الخوف . وهمت أن ترجع فعلا ، ولكنها تذكرت شيئا هاما هى فى حاجة اليه ، ولهذا لم تشأ أن تفكر ومدت يدها المرتعشة وضغطت على زر كهربائى صغير ، وترامى رنين الجرس الى اذنيها من الداخل أشبه بهواء نشب جائع . فارتعش جسمها كله بعد أن كانت يدها هى وحدها التى ترتعش وراحت تنتظر وتترقب ، انها تريد لهذا الباب أن يفتح سريعا وسريعا جدا ، وهى تريد له ألا يفتح ابدا ..

انها كانت لاتعرف ماذا تريد .. وسمعت صوت المزلاج يتحرك من الداخل فأغمضت عينيها سريعا حتى لا ترى خوفا أبشع من هذا الخوف الذى هى فيه .. وانفتح الباب من فرجة صغيرة ، ومع ذلك دلفت منها سريعا دون أن ترى احدا ووقفت فى الداخل ، فقد كانت الردهة شبه مظلمة وكانت لاتزال ايضا مغمضة العينين .. كان ظهرها له وهى واقفة ، وكان ظهره لها وهو يغلق الباب ويحكم اغلاقه جيدا .. ولما فعل استدار وقال ولكن قبل أن يرى وجهها :

- أهلا وسهلا ..

وتمتمت في صوت خافت بعيد وهي تفتح عينها :

- أهلا بك ..

وأشار الى غرفة مضيئة وقال وكأنه لم ير وجهها أيضا :

- تفضلتي ..

وصار أمامها وسارت هي من خلفه .. ولما اقتربت من شعاع النور الباهت المنبعث من فرجة الباب تبينته ، ولما رآته شعرت على الفور بأشمزاز لا حد له نحو هذا الرجل المعجوز الذي وخط الشيب شعره وتقوس ظهره وأعوج حتى ساعده وراح يسير أمامها كما تسير الدببة تماما .. ما أقدر أمثال هؤلاء الرجال .. حتى هذا الرجل أيضا .. حتى وهو في هذه السن .. وزمت شفقتها سريعا في اضطراب إذ ظننت ، ولا تدري لماذا ظننت هذا الظن .. ظننت أن الهواجس والاحاسيس والمشاعر قد تسمع لغتها الآن .. وهي لاتريد أن تسمعه الا كل مايرضيه ..

وكانت قد بلغت الغرفة ورأت بعض المقاعد المتناثرة هنا وهناك في فوضى عجيبة ، كانت المقاعد أشبه ماتكون معطلة ، تبدت لعينها أشبه ما تكون بتمائيل قديمة ملقاة في العراء من الالف السنين .. وتأملتها ثانية ورأت فيما رأت شيئا انزعجت له وزاد كثيرا من اشمزازها .. رأت مائدة كبيرة عليها خمر .. أجل خمر .. زجاجة كبيرة ممتلئة .. وأخرى بجوارها فارغة .. ورأت أيضا كأسين ، كأسا فارغة لم تمتلئ بعد .. لم تمتلئ أبدا فهي لذلك نظيفة لامعة ، حلوة في العين .. ورأت كأسا أخرى قدرة شاحبة ملوثة ، أشسبه ماتكون بالشيء المتعب .. المرهق .. المنهوك القوى .. وكان بها خمر .. وتبدت لها هذه الكأس وكأنها تئن من كثرة ماتعبت .. من كثرة ما امتلأت وما فرغت .. لعل هذا الرجل شرب كثيرا .. لعله أرهق هو أيضا .. ونظرت اليه لأول مرة ، ورأت عينيه .. رأتهاما يبلون الدم المسفوك لساعته ، أو هما تماما يبلون البقايا التي في قلب هذه الكأس المتعبة ... ترى من الذي اتعب الآخر وأرهقه كل هذا الارهاق؟؟ ..

ونظرت اليه ثانية وأحسست ياشفاق زائد عليه . ولكنها عندما ظرت الى عينيه مرة أخرى حل محل الاشفاق عليه خوف كبير منه ، نبق قلبها دقات سريعة سريعة جدا .. كل ذلك وكانت لاتزال واقفة ..



وكان هو قد أعد لها مقعدا بجوار مقعده .. ولما فعل قال وهو ينظر إليها لأول مرة :

- تفضلى ..

فجلست ...

- أهلا وسهلا ..

نطقها وهو يجلس بجوارها ويتفحصها جيدا .. فتمتعت ولكن دون أن تنظر إليه :

- أهلا بك ..

ولما أشعل لها السيجارة قال :

- حدثتني عنك كثيرا المست شقيقة ..

فلم تجب لأنها استشعرت على الفور سخطا هائلا على شقيقة هذه أطبق على أنفاسها ... كان دائما مسخطها على شقيقة هكذا يطبق على الأنفاس .. كان تماما أشبه مايكون بالسخط المغيظ الذى يستشعره انسان نحو انسان آخر ورطه فى شر كبير .. فى حياته مثلا ..

وكان قد نسى أنه قال لها شيئا .. ونسى أيضا أنه حيالها لأنه قال لها سريعا وهو يتعمقها بعينيه هذه المرة :

- أهلا وسهلا ..

ونظرت الى الكأس التى أمامه .. والسيجارة التى تضطرب بين شفتيه المرتعشتين ، وأشفقت لأول مرة فى حياتها على رجل مخمور ، ولذلك قالت وهى أيضا تتعمقه بعينها :

- أهلا بك ..

وأراد أن يقول لها شيئا آخر .. ولكن السيجارة سقطت من بين أصابعه فتناولتها هى من الأرض وأطفاها .. وكأنه قدر لها هذا الجميل ، لأنه قال وهو ينظر هذه المرة الى الزجاجاة التى أمامه ويمد يده إليها :

- أهلا وسهلا ..

وأرادت أن تضحك هذه المرة ، ولكنها زمت شفيتها سريعا لأنها رآته يملأ لها كأسا وهو يقول :

- ماء .. ثلج .. صوده ..



وكانت لاتعرف شيئا من ذلك كله ، انها تعرف انها تكره الخمر ولا تطيقها ، وارادت أن تقول له ذلك ، ولكنها تذكرت أنها قالت هذا لرجل غيره ذات مرة فغضب وطردها شر طردة .. ترى هل سيطردها هو أيضا ان قالت له - لا - ؟ وصمت لحظات .. وقال هو ثانية :

- ماء .. ثلج .. صوده ..

- ماء ..

وانفجرت أساريره عن ابتسامة حلوة وهو يناولها الكأس .. وتآلفت هذه الابتسامة أكثر وهو يراها تشرب .. وأدهشها أن انسانا يسره عذاب الآخرين .. ولذلك قالت :

- الى هذا الحد انت تحب الخمر ؟

فقال وهو يضحك هذه المرة :

- أحب الخمر وأحب شفيقة لانها عرفتني بك ..

وتحرك السخبط في قلبها على شفيقة عنيفا حتى أحست به يكاد يمزق أحشاءها ولذلك قالت له في عنف :

- منذ متى أنت تعرفت بشفيقة ؟

فقال وهو ينظر اليها في دهشة زائدة :

- من شفيقة ؟ .. انا لاعرف أحدا بهذا الاسم ..

وراحت تنظر الى عينييه وقد تبدتا لـ كذبالة تريد أن تنطفئ .. وصمتت .. وصمت هو أيضا لحظات مسح خلالها سائلا لزجا كان ينساب من بين شفتيه المرتعشتين ومد يده الى الزجاجاة وأفرغ لها كأسا أخرى وقال وهو يقدمها اليها :

- أهلا وسهلا ..

ولم تدرك لماذا أحست بأشفاقها عليه يتزايد ويتزايد .. ولذلك تناولت من يده الكأس وراحت تشربها وكأنها راضية عنها ، سعيدة بها ..

وحانت منه الفتاة الى يدها المطبقة على الكأس وهي تشرب .. ورأى شيئا في إحدى أصابعها يلتصق في عينييه ، ولما تأمله جيدا وعرف أنه دبلة من الذهب قال وهو يريد أن يضحك :

- أنت متزوجة ؟

فقالت وهي تعيد الكأس الفارغة الى مكانها وتذكر شيئا :

- .. كنت ..  
فقال وهو يضحك هذه المرة :  
.. وأنا أيضا كنت ..  
ثم قال وهو يضحك طويلا :  
.. أهلا وسهلا ..  
ولما أفرغ لها الكأس الثالثة قال وهو مازال يضحك :  
.. اذن نحن متساويان .. اذن اشربى .. أجل أجل .. نحن  
متساويان ..  
وتناول كأسه هو وشربها مرة واحدة ثم قال وهو يناولها كأسها :  
.. وأين ذهب زوجك ؟  
.. مات ..  
.. أهلا وسهلا ..  
قالها وكأنه يقولها لنفسه هذه المرة .. ولذلك لم تجب هى بشيء  
ولهذا قال هو :  
.. ولماذا لم تتزوجى ؟  
.. عندي ولد ..  
وكان موجه طاعية من الفرحة المباشرة غمرته وجرفته الى بعيد ..  
لانه راح يضحك ويعبقه ويهتز فوق المقعد حتى كاد المقعد يسقط به ..  
ولذلك أمسك به أو أمسك هو بنفسه حتى لا يسقط من فوقه .. وقال  
وهو يحاول أن يمسك عن الضحك ويتمسك بالمقعد الذى يجلس عليه :  
حقيقة عندك ولد ؟ أهلا وسهلا ..  
وكانت الدهشة قد عقدت لسانها ورغم ذلك قالت :  
.. نعم .. وما الغريب فى ذلك ..  
.. لا لا لا .. الغريب الا يكون ذلك ..  
فنظرت اليه طويلا وتمتمت دون أن تدري ..  
.. انك عجيب أيها الرجل ..  
.. ها ها ها ها .. اشربى ..  
وظنته قد سمعها فغضب ، فاضطربت ولكنها لما نظرت الى وجهه  
ورأته مازال متلهلا وما زال يضحك .. اطمأنت وتناولت منه الكأس  
وشربتها .. فقال وهو يملأ له كأسا أخرى :

- لا أظن ..

- ما رأيك لو نجرب ؟؟

- كيف ؟؟

فلم يجب وانما تناول سريعا علبة الكليوباترا من على المائدة ونهض . وراح يتخطى الموائد المزينة ليصل اليها . ولكنه قبل أن يصل اليها كانت قد تناولت حقيبتها وانصرفت . فخرج خلفها . فأندهشت لهذا التصرف . وجلست تنتظره . ولم يمكث كثيرا حتى عاد وعلى وجهه علامات الاسف . ولما سأله قال وكأنه يتأسف على شيء .

- يخيّل لى أنها مجنونة لجنوننا وليست مجنونة بنا كما ظننت ..

- ما الذى حدث ؟

- ظننتها لما غادرت المكان هكذا سريعا .. أرادت أن تتحدث الى قى الطريق على انفراد ..

- وماذا حدث ؟

- قى الطريق اختفت حتى لكانها ذابت فى المارين جميعا ..

وصمتنا ولم نتحدث .. ويظهر أننا صمتنا طويلا لاننى نظرت فى الساعة فاذا بها الثامنة والنصف . ويظهر أن صمتنا هذا الطويل قضيناه فى الحديث عنها . لاننى وجدتني أقول له صادقا :

- لست أدري لماذا تعلقت بها ، منذ أن فتحت عيني عليها ..

ففكر قليلا .. وكأنه تعلق بها هو الآخر .. لانه قال فجأة :

- ما رأيك لو سهرنا معها الليلة ؟

فأندهشت دهشة كبيرة وقلت :

- أين ؟

فقال وكأنه قد صمم على شيء :

- ألم يقل لنا سيد وهو يقدم لنا الطعام .. انها أحيانا تنظّل جالسة حتى تفتح خمارة مخالي ؟

- فعلا قال ذلك ..

- لماذا لا نذهب الى خمارة مخالي ؟

ولم يطل بى التفكير لاننى أحسست برغبة شديدة فى أن أراها ..

اليمين مرة وذات الشمال مرات حتى لتكاد تنخلع .. نظراتى التى  
تتدهور وتتبعثر بين اقدام الجالسين وأرجلهم .. فقال وهو يبتسم  
اشفاقا على ويرمينى بالغباء كعادته :

• انها معك منذ أن جلست • وبجوارك لا تتحول عينها عنك •  
فالتفت سريعا فاذا بها بجوارنا فعلا • • تجلس الى مائدة قريبة  
منا جدا • • وتجلس نفس الجلسة • • وذراعها فوق المائدة • •  
ورأسها فوق يدها • • والسيجارة تحترق بين شففتيها • • ونظراتها  
تدور وتجىء بين الجميع • • ثم فى النهاية تستقر علينا • •

ولما نظرت اليها حوت نظراتها بعيدا وراحت تنظر الى جماعة  
أخرى من السكارى ابعثتهم الخمر عن الدنيا وعن الوجود أيضا •  
وامتدت بنا الجلسة • وكلمنا فرغت الكاس ملاما لنا مخالى • وكلمنا  
فرغت أطباق الطحينة والفول الثابت والسودانى • امتلأت من  
جديد حتى سكرنا وسكر الجميع • • وراح كل منا يغنى على ليلاه  
ويبكي على أطلالها • • الحزين يبكي حزنه • والمريض يبكي مرضه  
حتى السعيد يبكي سعادته • • حتى اختلط الجائل بالنايل • • هذا  
يبكى • وهذا يضحك • وهذا يشكر وهذا يستمع • • وفجأة ووسط  
هذه الزحمة من الضحك تناولت حقيبتها وأخرجت نظراتها السوداء  
ذات الشرخ المستطيل فى العين اليمنى ووضعتها على عينيها •  
وانصرفت صامتة لاتطرف أو تنبس • • ولكنها عند الباب فعلت شيئا  
لا أدريه حتى الآن هل هى بعض الدموع أرادت أن تحبسها فى  
عينها • • أم انها كانت تشير لى عندما رفعت أصبعها وميجت على  
شيء عند العين • • ولكن الذى أدريه أننى نهضت سريعا لألحق بها •  
ولكن صاحبى كان قد أمسك بكتفى واقعدنى • • وأردت أن أقاوم • •  
وقاومت فعلا • • ووقفت ثانية فى اصرار لألحق بها • • غير أنه حدث  
ما أقعدنى على الفور لامت الانفاس • • وجعلنى أنسى كل شيء حتى  
هذه الفتاة التى ما أحسست أننى أحببتها حقيقة سوى الآن • • وذلك  
عندما ظهر لنا مخالى من أين لأدري ووضع أمامنا على المائدة ورقة  
الحساب • • وما أن لحت شيئا فيها حتى تهاويت على المقعد متجمدا  
كاننى قطعة من الثلج • •

فقد اتضح أن مجموع الحساب أربعة جنيهات ونصف جنيه  
وثلاثة فروش • •

وامسك صاحبى بالقلم وبالورقة • • وبالنظارة يضعها على عينيها  
مرة ويرفعها أخرى • • وراح يجمع ويطرح ويسأل • • ويعيد الجمع

والطرح ويكرر السؤال ويعيد الجمع مرة رابعة وخامسة .. الى ان  
القي بالقلم فى النهاية وهو يقول :

.. لا فائدة ، لم يبق من الاحتياطى سوى سبعة قروش ..

وعندما نهضنا كانت السبعة قروش لا تزال فى يدي .. كنت  
أصفعه .. وهو يعطى الى عم احمد ماسح الاحتية العجوز قرشا من  
السبعة ..

وكانت الساعة قد قاربت على الثانية صباحا .. فانصرفنا نسين  
على مهل فى الطريق والظلام .. حتى بلغنا ميدان العتبة الذى كان  
خاليا الا من سيارتين او ثلاث من سيارات الاتوبيس .. وصبي  
يزكض فى الميدان كالغار الهارب ينادى على صحف الصباح ..  
وكان هو يسير امامى فى شموخ وكبرياء كمانته .. وفى نفس هذا  
الشموخ والكبرياء أشار الى الصبي الذى جاء اليه قفزا مطلب  
الصحف الثلاث : الجمهورية والاهرام والاخبار .. فامسكت بيده  
سريعا وهو يدفع بكل الاحتياطى تقريبا ثمننا لهذه الصحف .. ولكن  
الصبي كان قد التقط بيده الورقة ذات الخمسة قروش ووضعها فى  
جيبه واعطاه نصف القرش وانطلق كأنه السهم .. فقلت له فى غيظ  
او فى توسل لا ادرى .. وأنا أمد له يدي :

.. عليك بهذين القرشين الباقيين ..

.. لماذا ؟

نلقها دون أن يلتفت الى .. فقلت له فى ضيق حقيقى :

.. باقى دقائق على آخر اتوبيس يذهب الى مصر الجديدة ..  
وانت تعلم اننى اقطن هناك .. وتعلم أن التذكرة بقرشين ..

فقال وهو يقف تحت عمود إلتور ويطلع عناوين الصحف :

.. وماذا أعمل أنا عندما لا يبقى مئى سوى نصف القرش .. وانت

تعلم اننى اقطن بالجيزة وأن التذكرة بقرش كامل ..

ووقفنا نتدبر الامر .. ونتدبره سريعا لانه لم يبق غير دقائق على  
قيام آخر اتوبيس لى او له .. وقد تدبرناه سريعا فعلا .. فقد  
اتفقنا على أن أبيت عنده هذه الليلة .. وبهذا يستطيع كل منا أن  
يدفع ثمن تذكرته .. ونستطيع علاوة على ذلك أن نبقى على نصف  
القرش معنا يسعفنا عند الحاجة ..

وشعرنا بشيء من السعادة لاننا وفقنا الى هذه الفكرة .. غير أنه

ولحن في الطريق الى الاتوبيس .. جدت مشكلة جديدة كادت تفقدنا هذه السعادة .. وهى مشكلة أنه ليس عنده سوى بيجامة واحدة .. فكيف ننام نحن الاثنين .. ولكننا تغلبنا عليها سريعا ايضا اذ اتفقنا على أن بقسم كل منا نصفها مادمنا نقسم معا كل شيء ..

وركبنا .. واستدار بنا الاتوبيس عند معنى البريد وراح يقطع الميدان في الليل .. واذا بى فجأة أراها تسير وحدها تقطع الميدان والنظارة السوداء مازالت على عينيها .. والشرح المستطيل الذى فى زجاجة العين اليمنى يؤكد أنها هى ..

وبلا تفكير .. ودون تريث .. وجدتنى اقفز من الاتوبيس .. وصاحبى يقفز خلفى .. وكاد يسقط ولكنه نهض سريعا وراح يركض معى .. الى أن بلغنا المكان الذى رايناها فيه .. ولكننا لم نجدما .. لم نجدما فى الطريق الذى كانت تسير فيه ولا فى طريق غيره .. ورحنا نقطع الميدان الخالى شمالا ويمينا .. ونجوبه طولا وعرضا .. فلم نر أبدا غير ظلين اثنين لانسانين كانا يتخططان فى الظلام ..



# ليسمونه القدر



تحس بأن لك رغبة شديدة في الحصول على  
- شيء - ما • شيء أنت تجهله ولا تعرفه ؟ هل  
هو صديق ؟ هل هو مال ؟ هل هو جاه ؟ هل  
هو رحلة ؟ هل هو صحة ؟ هل هو طعام ؟ وتظل  
تفكر فيه وتبحث عنه جهد الطاقة ، وكلك ايمان  
بأنك ملاقيه دون شك •• ودون أن تدري يصبح هذا - المجهول - الذي  
تريده هو شغلك الشاغل •

وهذا ما حدث لى بالفعل •

ذات يوم اتصل بى زميل • وتواعدنا على اللقاء فى بهو فندق  
معروف •

وذهبت فى نفس الموعد ، وكان المكان غاصا بالرواد حتى أننى  
لم أجد مائدة ولا حتى مقعدا اجلس اليه وكان صاحبى لم  
يجىء بعد •

كنت يومها بالذات منشرح الصدر مرتاح البال على غير العادة •  
ولماذا ؟ لا أدرى • الا اننى مع ذلك كنت غير مستقر فى مكانى •  
وكنت كما هى العادة أثلفت ذات اليمين وذات الشمال وكاننى  
أبحث عن شيء وبمجرد أن جلست فكرت ماذا أطلب عندما يأتى  
الجرسون •• قهوة •• شاي •• شيء مثلج •• لا أطلب شيئا

اطلاقاً ؟ وبينما أنا فى هذه الدوامة الصغيرة من التفكير لحت فجأة أمامى وعلى المائدة التى تقابل مائدتى مباشرة • والتى لا يفصلها عنها سوى مكان صغير لا يتسع لغير المقعد الخالى الذى هو بين المائدتين ، والذى هو الفاصل الوحيد بينهما ، لحت سيدة ماأن رأتها عينائى حتى ارتمت نظراتى عليها ارتماء وتمسكت بها كما يمسك الغريق بشئ فيه انقاذ حياته ، كما أحسست على الفور وأنا أنظر إليها كأن شيئاً فى صدرى يشبه الثقب الصغير ينفث ويخرج منه دخان أسود متعفن كريه الرائحة كان متراكماً فى صدرى من زمن • ودخل مكانه ومن نفس الثقب شئ بهيج أبيض ، استشعرت نحوه بنشوة بالغة اللذة ، فأرسلت نفساً طويلاً مريحاً • تماماً كمن كان يحمل حملاً ثقيلاً الفاء عن كاهله ، وجلس ليستريح من عناء رحلة شاقة • هو بالذات الشئ الذى كنت - أريده - الذى كنت أبحث عنه ، ولذلك وكما قلت ارتمت نظراتى عليها ارتماء •• والتفت بها وتشابكت حولها وتعددت بعضها ببعض فوق كيانها كله ، أشبه بخيوط العنكب عندما تلقى فى الهواء فتتشابك وتتماسك وتتعدّد فلا تنفصل أبداً ولا حتى اذا تقطعت ، وكيف انفصل عنها أو أتركها وأجعلها ثقلت من يدى بعد أن عثرت عليها ، وهل ينفصل الإنسان عن نفسه ، عن حياته عن - حظه - الذى وإتاه •

والغريب أننى كنت أشعر وأنا أفكر هذه الأفكار وأنظر إليها ، أنها كانت نفس أفكارها ، فلم أحس أنها تضايقت من وجودى ، أو تأذت من إابل نظراتى التى تتساقط على وجهها من كل ناحية وتسبح عليه وتكاد تفرقه كما تغرق قطرات المطر وجهك فى الطريق وتبلله بالماء ، فمثلاً لم تنتظر لى نظرة استهجان ، ومثلاً لم تره طرفها كلما التقى الطرفان ، بل كان هذا يسرها كما بدا لى ••

وكانت تجلس معها على نفس المائدة سيدة أخرى ، وكانت هذه السيدة ثرثرة تتحدث إليها كثيراً وكانت هى تضيق بهذه الثرثرة لأنها كانت تستمع إليها أحياناً ، وأحياناً أخرى تنشغل عنها بتحسس بعض أكياس من النايلون والورق المقوى كانت أمامها فوق المائدة وكانت هذه الأكياس ممثلة بحاجات لم يكن منها سوى كيس التريكو الممتلئ بالخيط والإبر ، وبقدر ماكنت أحس بالضيق لوجود هذه السيدة معها ، كنت أستشعر سعادة لا حد لها لأن صديقى لم يجرىء بعد فيحول وجوده بينى وبين شئ كنت أريد أن أفعله وإن كنت لا أدري ما هو •





وجلسنا كذلك ، وتلاقى الطرفان أكثر من مرة وهمست الشفاه  
فى صمت أكثر من مرة ودق القلبان أكثر من مرة وكانت دقائقهما  
تتعالى أحيانا وترن فى انحاء الصدر كما ترن الاجراس فى المعبد  
فى يوم عيد، وبينما نحن كذلك نظرت تلك السيدة الثائرة الجالسة  
معهما الى ساعتها ثم نهضت لتحدث فى التليفون كما فهمت من  
الطريق الذى اتجهت اليه ، ومن حسن الحظ كان مكان التليفون  
فى هذا الفندق بعيدا .

ولاول مرة فى حياتى اعرف أن للعيون لغة يمكن التخاطب بها ،  
لأنها عرفت ما قلت لأنها قالت وبنفس العيون التى كانت تبتسم  
كما كان يبتسم الثغر تماما .

وشعرت باضطراب شديد وبخوف قاتل اذ خشيت أن تعود تلك  
السيدة قبل أن نفعل شيئا ، قبل أن أتصرف كما قالت لى ، وكأنها  
أحسّت بما أنا فيه من ارتباك وعجز فأرادت أن تتصرف هى ، بل  
تصرفت بالفعل ، اذ مدت يدها الى كوب العصير الذى كانت قد  
شربته ورفعته ثانية الى شفيتها ورشفت بقاياها ، ولم تعده ثانية  
الى مكانه فى الطبق وانما وضعت جانبا ، وبترت وفهم ورغبة  
شديدة أن تفعل شيئا . . أمسكت بذلك المندبل الورق الرقيق الذى  
فى قلب الطبق وخطت على طرفه شيئا دون أن يراها أحد . ومن  
ثم أمسكت به وكأنها تعبت بإطرافه التى راحت تمررها بين أصابعها  
وهى تنظر الى وكانت ما تزال تبتسم - كانت باستمرار تبتسم -  
وهمت بأن تعيد المندبل الى مكانه من الطبق ، ولكنها عادت  
فخشيت أن يأتى الجرسون ويأخذ الطبق بما فيه وهو لا يدرى أن  
حياتنا فى قلبه ، أو على الأقل حياتى أنا فى قلبه . فأرجعت يدها  
بالمندبل ثانية وهى تنظر هذه المرة تحت المائدة وحواليها بل وعند  
قدميها بالذات وفكرت فى أن تلقى به فى هذا المكان، ومن ثم التقطه  
أنا بعد أن تتصرف هى ، وهذه فكرة صائبة تدل على ذكاء فرحت  
به، وبينما هى كذلك مترددة فى المكان الذى تلقى لى فيه بالمفتاح ،  
وبينما حياتى مازالت معلقة بين أناملها تروح بها وتجيء ، اذ  
فجأة يحدث شيء مرعب ، شيء مخيف ، فقد خرج إليها فجأة شيء  
كانه الهول أو كأنه الغول الذى كانت تحدثنا عنه جدتى ونحن  
اطفال ، ولا أدري هل شق الأرض وخرج إليها أشبه بقطعة من  
الحجر الصلد تقبض عليه يد سيف من سيفى الأساطير الاقوياء  
العالمقة .

القت بالورقة التى كانت فى يدها سريعا . ومن حسن الحظ

انها القت بها بجانب الطبق وليس فى قلبه ، وقد حدث هذا دون ان يراها ففرحت انا لهذا كثيرا ، وفى هذه الاثناء اقبلت تلك السيدة التى كانت تتحدث فى التليفون ، ومن حديث قصير بين الثلاثة وهم يحاولون الانصراف عرفت ان هذا - الغول - هو - السائق - ولانه عد يده وامسك بالاكياس المملئة التى كانت فوق المائدة وحملها وفجأة وبلا مناسبة امسك بالمنديل الورق الرقيق الذى بجوار الطبق وراح يعتصره بين اصابعه العليظة وهو يجلف به العرق الكريه الملوثة به يده فتمزقت الورقة ونهأت بين اصابعه الضخمة ، ومن ثم ماز خلفهما وهو لا يزال يعتصر تلك الورقة الرقيقة بين اصابعه ويعتصر معها قلبى .

مكنت متسمرا فى مكانى لحظات، لاندري هل طالت ام قصرت . ومن ثم نهضت سريعا تدفعنى قوة مجهولة وخرجت من الباب الحلقى للفندق ورحلت ادور حول الفندق لعلنى اوى شيئا ، أى شيء ، او اظفر بشيء أى شيء ، فلم ار غير سيارة بيضاء ضخمة ، تحملى دنياى فى قلبها وتغيب عن عيني . فوقفت فى مكانى زمنا انظر الى لاشيء بعد ان غاب عن عيني الوجود نفسه .

احسست وانما مازلت اتقف فى مكانى بجوار الفندق انظر الى دنياى وهى تغيب، والوجود وهو يغرب . . . احسست لفترة وجيزة . . . وجيزة جدا تشبه الغمض . . . اتنى سعيد . . . ان تاكدت الان اتنى غير مجنون . كما ظننت فى نفسى طوال تلك المسنين التى قضيتها فى البحث عن شيء مجهول لا اعرفه . . . بيد اتنى احسست فى نفس الوقت بان تلك السكن عادت وانغرست فى صدرى ثانية وانها احدثت به نفس الثقب، وان ذلك الدخان الاسود الكريه الذى كان قد خرج منه عاد يتسلل اليه ثانية .

وتعلمت فى مكانى ، وفكرت كثيرا وتالت ، ولأول مرة فى حياتى عرفت مرارة التفكير وحرقة الالم وقسوة لهيب الحرمان عندما تحرق الجسد وكان الشيء الذى زاد فى المى هو اتنى لم التقط حتى رقم السيارة ولم أعرف حتى صنفها . . . ان لو عرفت ذلك لكنت على الاقل امسكت باول الخيط .

ورحت ادس قدمى بحثا عن - ابرة - سقطت فى قلب جبل من القش ، وكنت كلما اعجزنى البحث شعرت بحقد شديد على ذلك السيف الذى يشبه مياثاف العصور الوسطى وعلى يده تلك الغنيظة واصابعها التى كانت تفرى فى قوة تلك الورقة الرقيقة البيضاء وتفرى ايضا كبدى معها ، ولما يئست وبلغ الالم حواسى جميعا .

واختلطت المرئيات فى عيني حتى أصبحت أرى السيارة البيضاء  
سوداء ، والسوداء بيضاء ، والطويل قصيرا والقصير طويلا ،  
والوحيد الذى لم تتغير صورته فى عيني وكنت أراه فى غدوى  
ورواحى وفى نومى ويقظتى وكنت أراه كما هو لم يتغير هو  
- السيف - رحت من شدة هذا اليأس الميت أبعد هذه الافكار  
والصور عن نفسى كما تبعد ذبابة من على وجهك ولكن المؤسف  
أن هذه الذبابة كانت تعود ثانية ، ولكن على صورة أمل كبير يكاد  
يحقق لى فى سرعة الغمض كل ما أريد فأعود ثانية الى البحث ،  
وأعود ثانية الى اليأس . والغريب أن شيئا منهما لم ترجع كفته  
لا الأمل ، ولا اليأس غير أنى أحسست ذات مرة وكان البحث قد  
أدنى قدمى بالفعل . أحسست بأن اليأس قد انتصر وأن كفته  
قد رجحت .



والغريب اننى بعد ذلك بعد أن أحسست هذا الاحساس العميق  
باليأس نمت نوما صميكا . نمت ما يزيد على عشر ساعات . وبلا  
مهدئ أو منوم . وهذا لم يحدث لى من قبل . وقد أكد لى ذلك  
أننى بالفعل قد طردت من على وجهى تلك الذبابة التى كانت تطن  
فى فكرى وفى قلبى وأبعدتها نهائيا واستيقظت فى صباح هذا  
اليوم مبتهج النفس منشراح الصدر . أريد أن الهو كطفل . وأن  
أعشب كصبي . فخرجت من البيت ورحلت كعصفور مرح أتنقل من

طريق الى طريق • ومن مكان الى مكان • وأرى الناس وكأني أراهم لأول مرة • وأرى الشوارع والبنائيات وكأنها جديدة على عيني • والحواريات وكأنها العرائس في الليل • أو كأنها قطع من الحلوى المختلفة ألوانها والمختلف مذاقها • ودخلت حانوتا معروفا اشتري منه نوعا من القماش كان لا يوجد الا فيه كما قالوا لي • وكان الحانوت الكبير غاصا مكتظا بالناس • وذهبت وسط هذا الزحام وهذا التلاحم الخانق لأتسلم ما اشتريت من « الكيس » بعد أن دفعت الثمن • ولكنني فجأة وقفت ذاهلا إذ غامت الرؤية في عيني وراح يلتصق فيهما بريق خلب • كأن تماما أشبه بالفلاش الذي تلتقط الصورة بريقه • ووقفت لحظات مسح خلالها على عيني اللتين كانتا تنفتحان وتتفلقان بمعدل ألف مرة في الثانية • ولما هدأت حدة الضوء واستعادتي عيني الرؤية ثانية • رأيتها أمامي وجهها لوجه • بدون أن أفكسر لحظة • أو أنتظر لحظة • فقد كان كل ما فكرت فيه وفعلته تدفعني اليه طاقة خفية تسبق ارادتي وتسبق أيضا تفكيري • انني أسرعت اليها على الفور • كما لو كنا على موعد • ومددت لها يدي التي كانت ترتعش من الفرح • فمدت هي أيضا لي يدها وهي تبسم وصافحتني • وشممت في يدها وهي تصافطني رائحة الورد ولمست فيها نعومة أوراقه وأيضا تضوع عبيره • وقالت وهي مازال تمسك بيدي :

— أين أنت ؟

فقلت ومازالت يدي ترتعش :

— في الدنيا •

— لو أنك في الدنيا حقيقة لما افترقنا •

فقلت سريعا وكأني أخاف من شيء :

— وماذا أصنع ؟

— أقول أنا لك ماذا تصنع !

دار هذا الهمس بيننا سريعا وسريعا جدا • وبأسرع منه أيضا أرادت أن تستطرد وتقول لي ماذا أصنع •• بيد أنها تراجعت فجأة وقطبت وبرقت عيناها بريقا ناريا وهي تنظر الى امرأة صغيرة كانت أمامنا •• ونظرت مصادفة حيث تنظر هي في المرأة •• فوقفت متخشبا انظر بعينين متجمعتين الى السياف البشع الذي كان يقف خلفنا مباشرة • ولا أدري حتى الآن هل هو هبط من السماء أو خرج علينا من الأرض • والذي في غلظة كغلظة الزمن مد يده القولاذية

ولبثنا كذلك أنا وهو مايزيد على سنة ، وكانت الايام والليالي التي مرّت أو تكاد تمر ، كانت بطيئة ثقيلة مملّة ، الى أن اتصل بي ذات يوم في التليفون فشمنت على الفور في صوته رائحة شهية تشبه رائحة السعادة تتسرب الى قلبي كما كان يتسرب صوته الى سمعي وهو يقول :

- حقق الله المسعى ، ووصلتني البرقية ، وسأسافر بعد غد ..
- بهذه السرعة ..
- أتممت كل شيء وسنقلع بي الطائرة مبكرة بعد غد ..
- فقلت شيء من الألم يعتصر قلبي :
- ومتى سأراك ؟

- غدا مساء سأقيم حفلا صغيرا في بيتي قد لا يحضره سوى أنت وقد يحضره أيضا صديق وزوجه وصاحب البيت ..

وهي مساء اليوم الذي حدده .. وفي نفس الموعد كنت أول من ذهب الى بيت هذا الصديق العزيز الذي سيرحل .. وأقبل هو وزوجه السويسرية الجميلة .. ويقدر ما كان وجهه مشرقا كان وجهها الجميل يتألق نورا .. فقلت لها على الفور :

- انكما تكتبان فليس هذا حال بيت سيهجره أصحابه بعد ساعات ..

فزائلت الاشارة وجهه وهو يشير بيده ناحية مدخل البهو ويقول :

- أنظر هذه حقيبة سفر صغيرة لي والتي بجوارها لزوجي ، وهذا كل ما نملك منذ أن خلقنا الى الآن ، أما هذا المسكن فانت تعرف اني استأجرته هكذا وسوف أتزكه هكذا ..

وقبل أن أقول له شيئا أقبل بعض معارفه : مهندس وزوجه ، وطبيب كان زميلا له وزوجه ، وصاحب البيت الذي جاء ليتسلم بيته .. ومن ثم جلسنا نتحدث أحاديث متفرقة وكنت كلما شعرت بكثير من الفرحه شعرت على الفور بما يقابلها وبنفس الكثرة من الضيق كلما عرفت أن عقارب الساعة تقترب من لحظة الفراق الى الابد .. وجعلنا هذا الضيق المفرق في السواد نتحدث أحاديث كثيرة .. تحدثنا عن الجهل والمعرفة وعن الحياة والدنيا .. وعن تلك القوة المجهولة التي تسيّرنا حيناً الى الامام وحيناً الى الخلف .. ونوعية هذه - القوة - ومن تمثل أو فيمن تتمثل واحسست بخوف

ونحن نخوض هذه الاحاديث الشائكة لان الجهل احيانا يجعلنا نتناول على بعض القيم كما ان العلم احيانا يجعلنا نحطمها •

وبينما انا كذلك شعرت فجأة بموجة من الاضطراب تغمر كياني كله تغرقني في دوامتها ودقات قلبي ترتفع وتدنق بعنف حتى كنت لا أستطيع ان أسيطر على أنفاسي فأغمضت عيني ولم أفتحها الا بعد لحظات على رنين الجرس الخارجى فالتفتنا جميعا او على الاصح التفت انا اولا فاذا بى اغمض عيني سريعا ثم اعود وأفتحهما سريعا ايضا لانى غير مصدق لما أرى •• فقد فتح الباب ودخل علينا نور باهر الضياء ، دخلت الدنيا ممثلة فى تلك السيدة التى شقيت بسببها كل هذا الشقاء •• رأيت الشقراء الجميلة زوجة صاحبى تهرع اليها وتعانقها بحرارة زائدة مما دل على صداقة بينهما ، وأنها جاءت الآن لتودعها مثلنا الوداع الاخير ، وأسعدنى ذلك كثيرا وزاد من هذه السعادة الفامرة أنها نظرت الى أول مانظرت كأن وجودى أسعدها وكأنها دلت على ذلك بأنها اختارت المقعد المجاور وجلست عليه •• بعد ان صافحتنا جميعا وبعد ان قدمتها لنا صاحبة البيت وهى تقول فى جملة واحدة مقتضبة :

- جاء هانم ••

كنت وأنا جالس بجوارها أخشى ان انظر اليها ، فقد كانت نظراتنا عندما تلتقى تتشابه على الفور ، وكنت أشعر بأن هذه الرغبة تكاد لا تقاوم كلما أحسست بأن الذى بينى وبين صاحبة البيت التى ستفبب هنا بعد ساعات لايسمح لى بأن أستوضحها شيئا عن هذه السيدة ، وكنا جميعا قد انتهزنا فرصة مجيئها •

واقترح أحدنا وهو المهندس الشاب الذى كان قد شرب كثيرا ان نقطع الوقت فى لعب الورق ، ولأقت هذه الفكرة برحبت من الجميع ماعدا - بنياى - التى اعتذرت بحجة أنها لاتعرف اللعب • وانتهزتها أنا فرصة لكى أعتذر أنا ايضا ••

وقلت لها همسا وكأنى أخطب غيرها - كيف سنلتقى ثانية - وما هى الوسيلة حتى لايفقد أحدنا الآخر مرة أخرى ••

وانتظرت واجف القلب لتقول شيئا ، وأنا أعبت بإصابعى لآخفى اضطرابى بمشط علبة الثقاب التى أشعلت منها سيجارتى ، وانتظرت هى قليلا ثم راحت تنظر الى الجميع بينما شفتاها تتحركان نحوى هامة :

سأخذ رقم تليفونى واتصل به فى العاشرة صباحا \*

وترجع كيانى من الفرحة التى كانت تفضح امرنا لولا اننى تماسكت ورحت أعيث ثانية بمشط الثقاب الذى كان لايزال فى يدي ويقلم صغير كنت قد أخرجته خلسة ، ولما رأت هى ذلك عاودت همسها الحبيب الى اذنى وذكرت لى الرقم قدوته سريعا على طرف مشط الثقاب دون أن يظن أحد ، وهممت أن أضع هذا الكنز الذى حصلت عليه فى جيبى ، ولكنى قبل أن أفعل ترامى همسها الحبيب الى اذنى مرة أخرى وقالت :

— أكتب لى أيضا رقم تليفونك \*\*

وبحركة بارعة ، وكما يفعل الساحر المتمرن تماما كتبت لها رقم تليفونى على النصف الآخر من مشط الثقاب ، وبفس الترتيب والاتزان وأنامل الساحر الماهر قطعت المشط الى نصفين ووضعت النصف الذى به رقم تليفونها فى جيبى ووضعت النصف الآخر الذى به رقم تليفونى على طرف المائدة التى بيننا ، ومن ثم نهضت من جوارها واصطنعت حديثا مع الجماعة كلها لكى أترك لها فرصة النقاط الورقة ، وقد نجحنا فى ذلك تماما لاننى عندما عدت الى مقعدى بجوارها كانت قد التقطت الورقة ووضعتها فى حقيبتها \*

كل انسان يستطيع أن يصف السعادة الا السعيد نفسه \*\* بليل  
أقضى غير قادر ولو مكثت عشرات السنين أن أصف سعادتي بعد أن  
حدث ما حدث \*\*

وقد تأكدت من ذلك بعد أن مر مايزيد على الساعة ، ودق جرس  
الباب الخارجى ورأيت — السيف — منتصبا أمامى بقامته المديدة  
ووجهه الصلد الاسود \* كان منظره من قبل يبعث فى نفسى الرعب  
كل الرعب ، والخوف كل الخوف \* أما هذه المرة بعد أن رأيته  
بأخذه وينصرف كدت من السعادة أخرج له لسانى ، ولعلى أخرجته  
بالفعل تشفيا \*\*

ولا أدري كيف مضى الليل بعد ذلك ، فقد كنت فى بحر من السعادة  
تدفئنى أمواجه وتسيرنى هى كما تشاء ، ولذلك عندما ودعنا لطفى  
وزوجه فى المطار وعدت الى البيت وكانت الساعة حوالى السابعة  
صباحا لم أتم ، وأنا مكثت أعد الدقائق والثوانى بل وأعد أنقاسى  
وأنا أنتظر أن تدق الساعة دقة الفرح ، دقت العاشرة كما تواعدنا \*\*  
وعندما دقت دقائقها العشر ودق قلبى معها أيضا عشر دقائق ومددت



يدى ورفعت سماعة التليفون وباليدي الثانية الورقة التي فيها الرقم ..  
ولكني ما أن نظرت اليها والى الرقم المدون فيها حتى جحطت عيناى  
وقد هورت أنفاسى .. وما أن عرفت الخطأ الذى تورطت فيه ، وهو  
أقننى بدل أن أعطيها رقم تليفونى أعطيتها رقم تليفونها هى ، وبدل  
أن أحتفظ فى جيبى برقم تليفونها احتفظت برقم تليفونى ..

ما أن عرفت ذلك حتى دارت بى الأرض وسقطت من يدى سماعة  
التليفون ونجمدت يدى مكانها .. ونجمدت عيناى أيضا وهما تنظران  
الى ذلك - السيف - العملاق الذى كان يقف أمامى بوجهه الصلد  
وصيه المتحجرة ويده الغليظة الفارعة ، وكان كعادته شاهرا سيفه  
ولكن السيف هذه المرة لم يكن كما رأيته من قبل يلتصع نصله فى  
عيني .. بل كان هذه المرة ملوثا بقطر دما فى قلبى ..





# بلغ القطار نهايته



أحيانا أنك تلتقى بشخص ما .. رجلا كان أم امرأة ، فتحس على الفور أنك تعرفه . وأنه التقيت به ، وأحيانا يزداد هذا الاحساس إذ يؤكد لك أنك تعرفه معرفة جيدة ، ولكن من هو ؟ ومتى التقيت به لا تذكر ، وتروح تجهد نفسك في التفكير .. مع أن الحقيقة أنك لم تعرفه ولم تلتق به أبدا .. بل ولم تره عينك من قبل .

وقد حدث لي هذا كثيرا وتورطت فيه كثيرا . بل وسبب لي في كثير من الأحيان الحرج الذي لاحد له .. ذلك لأن اقتناعي بأنني فعلا أعرفه وهو أيضا يعرفني .. كان يجعلني أخشى إذا أنا مررت به دون أن التفت إليه أو أحبيه أن يظن هذا تعاليا وريما يرميني بالكبر . وأنا لا أَرْضَى أن أتهم بهذه التهمة الظالمة .. لذلك كنت التفت إليه وأحبيه وأحيانا أصافحه .. وأصافحه في حرارة .. فإذا به يفاجئني ويدى مازالت في يده ويمسكني من أنا ؟؟ فأخجل وأتصيب عرقا على الفور وأنا أقول له تلك الجملة التقليدية والتي لا يوجد ما يقال غيرها .. متأسف ظننتك شخصا آخر ..

وكثيرا ما كان البعض يظنني أسخر منه حتى أن أحدهم ذات مرة وبعد أن تركته وأنا أتصيب عرقا .. لحق بي في الطريق وكانت تقوم بيننا معركة إذ كيف أسخر به هذه السخرية .. ولما تكررت هذه

الظاهرة ووضحت عندي .. فلننتقي قد أصبت بفقدان الذاكرة ..  
 وذهبت الى أحد الأطباء .. وكان من المتخصصين في هذا النوع من  
 المرض .. وكانت تربطني به صداقة .. فقال لي وهو يبتسم :

.. اطمئن .. كل ما في الامر أنه عندك شحنة زائدة في الذاكرة  
 شحلت بها حواسك جميعا .. ففدوت ترى الشيء فحسب أنك تعرفه ..

بهذا القول .. وبهذه الفلسفة الخرقاء البالغة حد الجهل ..  
 والتي يلجأ اليها بعض أطباء علم النفس ليداروا بها جهلهم ..  
 وتذكرت على الفور قولا مماثلا سمعته كثيرا في الاذاعة والتليفزيون  
 وقرأته عروا في الصحف لكثير من .. الفلاسفة .. الذين يحددون  
 عن الفرد أو المجتمع ، وهذا القول هو .. ضامن المضمون داخل  
 إطار الضمان التلقائي للفرد الذي يتكون منه المجتمع .. وأشهد أنني  
 سكنت سنوات أحاول أن أفهم فلم أفهم ولن أفهم أن شاء الله ..

ولما قلت هذا لصاحبي الطبيب ضحك وقال :

.. ان الشخص الذي نظن أنك تعرفه لدرجة أنك تصافحه بحرارة  
 في الطريق .. ولم تكن قد رأيته من قبل سوف تعرفه فيما بعد ويكون  
 لك معه شأن .. وهذا مايسمى بالشحنة الزائدة في الحساسية كما  
 قلت لك، هذه الشحنة التي نمتلي بها الحواس حتى لتكاد تبلغ أحيانا  
 درجة التنبؤ .. وأحاول جاهدا أن أعرف أين أكثر جهلا من صاحبه ..  
 أنا الذي أفهم .. أو هذا الطبيب النفساني الذي يشبه تماما فلاسفة  
 هذا العصر الذين يعمفون بالجهل بهذا القول .. ضامن المضمون داخل  
 إطار الضمان التلقائي للفرد الذي يتكون منه المجتمع ..

كنت أفكر في هذا وغيره ذات ليلة ركبت فيها آخر قطار يفساد  
 سيره الى القاهرة .. وهو القطار الذي أطلق عليه أحد الاصدقاء  
 .. قطار الشعب .. أو قطار الظلام .. وهو فعلا مظلم في كل شيء ..  
 سمع في كل شيء .. حتى لكانه أحد الابطال البهلاء يقف عند كل  
 محطة يطيل الوقوف حتى لتكاد نظن أنه بلغ نهايته .. وهو القطار  
 الوحيد الذي لم يدخله الناس من أبوابه .. وإنما من نوافذه ..  
 تلقى عليك أسفاط البلع والعجوة .. وأجولة الارز والعص ..  
 ومواجير المش وبلابيص العسل الاسود .. ثم تلقى الناس بنفسها  
 بعد ذلك .. ولما لم أستطع حتى التنفس .. نهضت انتقل بين عرياته  
 الى أن بلغت عربة الدرجة الاولى فلم أجد بها غير اثنين .. أحدهما  
 وجيه يشخر ويتعالى شحيره حتى ليكاد يسكت صوت القطار ..  
 والثاني عجوز شمطاء .. أمسكت بيدها مرآة صغيرة وبعض المساحيق  
 التي راحت تلمخ بها وجهها .. وكلما طمسته بالدهون برزت التجاعيد



من خلف المساحيق كما تبرز الشعاب الصغيرة من خلف الاعشاب .  
وكان الجلوس فى الدرجة الاولى مريحا ولكن الذى كان غير مريح  
هو حافطة تقودى التى فى كثير من الاحيان او فى كل الاحيان كانت  
تحول بينى وبين ما احب واشتهى ..

وانتقلت الى عربة الدرجة الثانية ، وكانت بين بين .. وان كنت  
قد وجدت بها ميزة .. وهى انها تكاد تكون فارغة ، فجلست فى  
ميوان فارغ الا من نقايات كثيرة من قشر البرتقال واصابع الموز ..  
ومصاصات القصب ، التى كانت تبدو فوق الارض اشبه بخليط من  
الحشرات .. واشعلت لفافة من اخرى وفتحت كتابا كان فى يدي ،  
ولكنى لم ار سطرًا من الظلام فاغلقتة ثانية ونظرت الى ساعة بامتة  
كانت فى يدي فلم ار عقربها الا بصعوبة .. فتركتها واخذت اصغى  
الى صفير القطار فى الليل .. وكأنه نواح تكلى قد بيع صوتها ..  
او كأنه لحن جنازى يوقعه عازف جاهل . وشبه لى القطار نفسه  
كأنه النعش . والعربات التى يجرها هى زل من الثكالى يسرن خلف  
الميت . وأعدت او عدت الى ذلك عشرات المرات . السجارة والكتاب  
.. والساعة الباهتة . ونواح القطار .. واللحن الجنازى .. والنعش  
والميت .. والذين يشيعونه .. وأحسست بالوحدة .. وشعرت بالضيق ..  
ونفهمت حقيقة الالم ، وتعمقت مذلة الفقر .. ونظرت الى النافذة ..

وودت أن ألقى بنفسى منها وأستريح .. أستريح من هذه الحياة  
التي نعيشها . والتي كتبت قدرا علينا والتي لاتزيد فى شيء عن  
رحلة هذا القطار .. وما يجرى فيه .. سيجارة تحرق .. وصفحة  
تقلب .. وأنفاس تعد .. وكل الذى بين الاثنين أن هذا القطار يقطع  
بنا الطريق والحياة تقطع بنا الايام .. وعما قريب سيبلغ هذا القطار  
نهايته .. وعما قريب ستبلغ بنا الحياة نهايتها .. وأحسست ببعض  
الهواء يتسرب فى الليل من الممر .. وكان هو الآخر سمجا باردا  
ممعنا فى البرودة .. فنهضت لأغلق باب - الديوان - الذى اجلس  
فيه .. فاتضح فعلا أنه كان له باب .. ولكن فى سالف العصر  
وسابق الزمان .. فعدت ثانية الى مكانى متذعرا بالصمت والصبر  
والتسليم .. وهى الاسلحة الثلاثة التى سلح بها القدر .. المعاجز  
.. وأحسست برغبة صادقة فى أن أشعل سيجارة .. فأخرجتها من  
العلبه ووضعتها بين شفتى كملك من ملوك الرومان . أو سلطان من  
سلاطين الدولة العثمانية .. وفى نفس العظمة والكبرياء التى تجتاح  
فى بعض اللحظات البؤساء والنعساء .. اشعلت عود الثقاب ..  
فاطفاه الهواء اللعين قبل أن تشتعل السجارة .. وكان هو العود  
الوحيد الباقي فى العلبه .. فابتسمت .. وكثيرا ما تكون هذه

- الابتسامة - بالذات هي السلاح الرابع الذى يتزود به كل من يعبر رحلة حياة شاقة ..

ومرت لحظات تسلفت لى فيها حفنة من هواء بارد ، فارتعشت ..  
ومرت لحظات تطايرت الى وجهى فيها بعض الاتربة المتراكمة فى  
قلب المر .. كما تطايرت بعض الاوراق ، وجاءت ورقة والتصقت  
بكتفى ولما اردت ان ازيحها من فوق كتف الجاكته وجدتها متعلقة بها  
وملتصقة فيها .. كما يتعلق العاشق بمعشوقه ويلتصق به ..  
فاندمشت .. ولما بحثت الامر .. وجدت الورقة ملوثة بمسائل لزج قد  
تبقي من اثار حلالة طحينية .. فصدت الله لانها لم تكن ملوثة بمسائل  
لزج اخر ..



وابتسمت ثانية ومكثت لحظات استعمل هذا السلاح الرابع  
لأننى ابتسمت أكثر من مرة .

وأحسنت مرة أخرى أن بى رغبة شديدة جدا فى أن احتسى دخان  
سيجارة . وأن أملا به حلقى . وأن « افرقشه » بين فكى . أو  
أدغذه بين رثتى . ولكن ليس معى ما يشعل النار وكانت السيجارة  
ما زالت بين أصبعى فرحت أتأملها وأنا أتعجب كيف يوجد الهشيم  
ولا يوجد الذى يشعله . وفجأة رأيت خيسال نار تتقد فى المعز  
فنظرت ملهوقا فلم أتبين فى الغبش الذى يمتلىء به المر سوى

خيال امرأة تقطع المر وبين شفتيها سيجارة تلتهب وتزداد البتايا كلما أطبقت عليها بشفتيها • واستطعت أن أرى على ضوء هذا اللهب شفتيها الغليظتين والسيجارة بينهما تتلوى وتتوجع كلما جذبت منها نفسا • كما رأيت نصف وجهها الأيمن المقابل لى • ورأيت معه كتفها ونصف خصرها المقابل وردفا واحدا من الرديفين • كما تبينت أيضا ساقها وكانت بيضاء لامعة • وهذا ما أقطع به لأننى رأيت الساق وسط الغيش الذى يشبه الظلام بيضاء تكاد من بهائها تلمع أشبه بنور الضيغ عندما يتنفس • وهممت فى لهفة أن أسرع خلفها لأشعل سيجارتى • ولكننى تريت • أو لعلى خجلت فعن يدرى ربما تظننى أريد السوء وأن طلب اشعال السيجارة هو بداية الطريق الى هذا السوء • وكانت قد ابتعدت فهبات أنفاسى وفكرت تفكيراً معقولا • وقلت انها ذاهبة الى دورة المياه التى كنت أعرف انها فى مؤخرة العربة حيث تتجه هى • وانها لايد ستعود تقطع هذا المر ثانية • وفى هذه اللحظات التى مكثت أنتظرها كنت قد استرجعت شجاعتى ومن ثم جلست أنتظر عودتها • ومرت لحظات ولكنها لم تعد • فنهضت وقلت أخرج أنا الى المر واقطعه أنا أيضا • ولكنى ما أن فعلت واتجهت الى الباب حتى رأيت فى زجاج إحدى النوافذ التى تقابلنى صورتها منعكسة عليها • وتعمقت الرؤية ولمست أحدى ماذا سررت كثيرا عندما وجدتها هى • وخرجت سريعا الى المر واتجهت اليها وكانت واقفة وقد أمسدت رأسها الى الحائط المقابل لزجاج النافذة • وشبكت يديها خلف الرديفين واختفت بكل هذا خلف الحائط المستندة اليها • وكان بين شفتيها السيجارة مازالت تنقد • وكانت قد اجتذبت منها نفسا طويلا فأتقدت جمراتها وانعكس ضوء النار على شفتيها الغليظتين الشبيهتين أيضا بالجمر • حتى اننى سألت نفسى سريعا وأنا أقبل عليها - أى من النارين أشد اشتعالا وأشد حرقا - وكنت قد اقتربت منها بعض الشيء وأنا أبحث فى اهتمام عن شيء فى جيوبى ولعلنى تعمدت ذلك حتى لا تظن اذا طلبت منها أن أشعل سيجارتى اننى اتخذ هذا سببا لشيء • وعندما اقتربت منها • وقبل أن أقول لها شيئا • كانت قد مسحبت يدها اليمنى من فوق الردف وانتزعت السيجارة من بين شفتيها وقدمتها لى دون اكتراث ودون أن تنظر الى وقالت وكأنها تخاطب شخصا آخر : ولع ..

كان صوتها هذا الذى سمعته على قصر النغم الذى خرج الى الأنى • يكاد يكون مخيفا الى حد كبير • حتى أن يدي ارتعشت



وأنا أتناول من يدها السجارة • كان في نغم هذا الصوت أشبه  
كثيرة متجمعة فيه دفعة واحدة • هل هو صوت رجل ؟ هل هو  
صوت امرأة ؟ هل هو نصيح أفعى ؟ هل هو عواء ذئب ؟ هل هو  
نباح كلب ؟ هل هو حشرجة قطة تموء ؟ هل هو أنين لبؤة تتعذب ؟  
هل هو لئام أنثى لرجل • • • أى رجل ؟ وتعمقت الرؤية مرة أخرى  
• • • وتعمقت هذه المرأة من كتب كانت جميلة إلى حد كبير • ولكن  
هذا الجمال تعلوه غبرة • أشبه تماما بالذهب عندما يخرج من  
الناز بعد صهره وقيل أن يطلى ويلتصق في عينيك ذهبيا • وكان  
فعرها الأسود الطويل • مكوشا • تتهدل خصلات الطوال وتتطاير  
مع الهواء فتارة فوق الجبين وتارة حول العنق • ومرة يغطي  
الصدر • الذى تركت نصفه الأعلى مفتوحا حتى كاد يصيحه من  
النهد يلوح للعين • وقد ظننت أنها تعمدت ذلك وأنها تركت زوار  
البلوze الأعلى الذى يغطي مجرى الصدر مفتوحا • ولكنى عندما  
نظرت إلى الصدر نظرة سريعة • رأيت مكان الزوار ولم أر الزوار  
نفسه فقد كان مقطوعا • كما رأيت شيئا فوق البلوزة السوداء  
التي ترتديها يلتصق بياضا عند الكتف فظننته ورقة صغيرة بيضاء  
تطايرت واستقرت في هذا المكان • ولكنى عندما تأملتته سريعا مرة  
أخرى وجدته ثوبا في البلوزة • وليس هذا البياض الذى يلتصق نورا  
في العين ورقة بيضاء كما ظننت وإنما هو ومضة تلوح من الجسد  
نفسه • وكانت إحدى النوافذ التي أمامنا مباشرة قد تحطت زجاجها  
وتدقق منها الهواء في تسوة كما تدقق الرصاصات من بندقيـة  
سريعة الطلقات تماما • فتشجعت وقلت لها وأنا أشير بيدي إلى  
بعض مداخل حربة القطار •

• لما أن تجلسى فى بعض هذه للعين وإنما أن تبعدى عن هذه  
النافذة التي تحطت زجاجها •

لماولت أن تبسح • لأن شفيتها اختلجنا كما تفتلج شفنا طفل  
مستغرق في النوم نامت أمه • وقالت •

• وماذا يصيب هذا الهواء ؟

• انه مضرب للغاية •

لماولت ومازلت تبسح نفس الابتسامة •

• وما الفرق بين الذى يصر والذى لا يصر ؟

لأنهم مشيت وإن كنت قد وجدتها مناسبة لاطالة الحديث • وربما  
مناسبة للعارف فقلت •

- فرق كبير جدا • فمثلا هذا الهواء الذى يتسدفق من هذه النافذة كالرصاص قد يسبب المرض • والمرض يسبب الموت • وكانت ماتزال واقفة مرتكزة على قدم • وكأنها أرادت أن تركز على اثنتين • لأن جسدها اهتز فى ثقل كما يهتز فى ثقل الفرع المحمل بالعناقيد وقالت ولكن وهى تضحك هذه المرة :

- وما الذى يضر فى الموت ؟

- هل تريد أن تموتى ؟

لهزت كتفها • فاهتز معها شيء فوق الصدر • حتى كدت اهتز أنا أيضا وقالت ومازال هذا الشيء يهتز ويهزنى معه :

- ربما ••

فانتبهزتها لفرصة وقلت :

- أنا لا أظن أن مثل هذا الجمال • وهذا الشباب • وهذه الألوثة التى خلقت للحياة تفكر فى الموت •

فلم تجب وإنما اعتدلت فى وقفها وفتحت حقيبتها وتناولت منها سيجارة ولم تخرجها من علبة وإنما تناولتها من بين عدد من السجائر كانت مبعثرة فى قلب الحقيبة واستطعت أن ترى فى قلب الحقيبة مع هذه السجائر المبعثرة متديلا صغيرا ورغم أنه كان نظيفا إلا أننى لحت به عدة زمزقات • كما رأيت « اصبع أحمر » من النوع الرخيص وقطعة مكسورة من مرآة • ولما أغلقت الحقيبة ووضعت السجارة بين شفتيها وحاولت أنا أن أشعلها • فقد كانت علبة الثقاب التى أعطتها لى مازالت فى يدي • ولما حاولت ذلك وانطلقا العود ثلاث مرات من شدة الهواء • قالت وهى تتحرك وتسير بجانبى فى المر :

- فعلا هذا الهواء لا يحتمل •

ودخلت معها إحدى العربات الفارغة فى قلب العرببة • ولما جلست واشعلت سيجارتها راحت فى هدوء تنفث دخانها فى صمت فأس مرير • مما جعلنى أحس أنها تريد أن تصمت • ولا تريد أن تتحدث • فاحترمت هذه الرغبة • وإن كنت خشيت أن يدوم هذا الصمت الى أن يبلغ بنا القطار نهايته • ولا أبصر لماذا أقلقنى التفكير فى هذا • ولذلك قلت وأنا أنظر الى ذلك النور الذى يتدفق من ثقب البلويزة من عند المكثف • وأقارن بينه وبين مثل له كان يتسرب الى عيني من خلال فتحة فى الصدر • قلت :

— هل ذاهبة أنت الى القاهرة ؟

فهزت رأسها دون أن تنظر الى وكأنها ترميني بالسخف لهذا القول • لأنها قالت :

— وهل يذهب هذا القطار الى ما هو أبعد من القاهرة ؟

— ظننتك مثلا ذاهبة الى بلد آخر أقرب لهذا القطار من القاهرة •

— فأرسلت نفسها طويلا امتد الى أبعد من دخان السجارة الذي كانت تنفثه الى الامام وقالت وهي تتنهد :

— ليت هذا القطار يذهب الى ما هو أبعد من القاهرة •  
ولما لم أفهم قلت :

— قصدت فقط أن أعرف الى أى بلد أنت ذاهبة •

فأبتسمت ورجعت بظهرها الى الخلف واستندت برأسها الى حائط الكنبة الذي كان مصنوعا ذات يوم من الجلد • وقالت سابعة حتى لكانها تخاطب شخصا آخر بالعلبة نفسها :

— أنا نفسي لا أعرف !

ثم أغمضت عينيها ••

فازدادت دهشتي حتى أنني أردت أن أقول لها شيئا آخر • ولكني أحسست أن بها رغبة حقيقية في الصمت فاحترمت هذه الرغبة • وصممت أنا أيضا • ورحت أفكر في هذا الانسان الذي أماسي • والذي لا يكاد يعرف من أمره شيئا • ولا حتى من أمر اللحظة التي يعيش فيها • ولست أرى لماذا ازداد احترامى لهذه الفتاة • بل وجدتني فجأة أحترمها فعلا • لأنني سريعا ما سحبت نظراتي من فوق صدرها الذي برز واستعلى ويزداد بروزا واستعلاء كلما رجعت بظهرها الى الخلف • حتى تلكم الاشياء التي كانت تضطرب • أو تختلج أو ترف فوق الصدر اغفلتها أيضا • كما سحبت نظراتي أيضا من فوق الساقين العاريتين حتى جبين الفخذ الذي كان نوره وسط الظلام الذي نحن فيه يعلو نور الثقاب الذي تشعل به السجاير بين الحين والحين •

وهكذا جلست في صمت واغمضت عيني أنا أيضا • ولكني بالرغم من كل ذلك كنت أرى كل شيء •• أرى الصدر • وأرى جبين الفخذ • وأرى ثقب البلوزة الذي عند الكتف ينبثق منه النور • وأرى المنديل الممزق الذي في قلب الحقيبة • والسجاير

باعترة حوله • واصبح الامن الرخيص وقطعة الزجاج المكسور  
والتي هي من بقايا امرأة قديمة •

كما رايت بضاً الثقب الكبير الذي في بطن حداثي وفي الفردة  
اليمنى على وجه التحديد والذي كنت اتساءل ولا انكره الا اذا مررت  
توق بلاط صانع او ارض ساخنة • ورايت ايضا فيما رايت الثقوب  
المعددة التي في ثيابي الداخلية ، حتى الثقوب العديدة التي كانت  
في ظهر القانلة التي ارتديها رايتها بعيني • تماما كما لو كانت  
عيني في تلك اللحظة مصباح مكتوب توجه نوره كما تشاء • بينما  
بهما لا • الى لعل والى اسفل • فيريك سافريد ان ترى •

ومكنت كذلك لحظات لا اشعر بشيء ولا حتى بالوجود نفسه •  
الا عندما رايتها منتصبه امامي والصفية في يدها • ونهزنى من  
كتفى وهي تقول :

• هنا لقد بلغ بنا القطار نهايته •

تأخسعت على الفور بشيء من الخوف ، لآلتا سوف لتفترق •  
ورغم اننى اكره المسراق ولكننى لم احس بكرامتى الحقيقية له  
تماما احسست بها في هذه اللحظة • واردت ان أقول شيئا •  
ولكننى ارتبكت وتلعثمت • وقضيت لحظات فعلت فيها اشياء كثيرة  
عليها تخرجنى من هذا الارنيك • فتحت عيني ربتايت • واصلحت  
من رباط الرقبة • ودقنت قدمي سريعا في الارض حتى اخفى عنها  
الثقب الذي في بطن الحذاء • ومع اننى قضيت في كل ذلك وقتا  
طويلا الا اننى كنت لا ازال مرتبكا • • وكانت هي قد تقدمتني الى  
الباب فنهضت سريعا • وودعت امير خلفها وكأني كلي يسير في  
ليلة بهز نيله ويعقد الامال على ان يلقى له هذا المحفوظ الذي يصير  
ساعة بلقمة من هذا الزاد الكثير الذي يحمله •

وكانت تسير امامي على الرصيف ورايت فيما رايت جوربها  
الذي به عدة ثقوب • والذي به ايضا عدة شروخ وعدة تمزقات •  
لاغمضت عيني على الفور • فقد تمثلت بعيني هذه الثقوب وهذه  
التمزقات والشروخ اشبه بماء حار الذي ترقى وجهي حين مشوهه • كما  
رايت اشياء اخرى ووضحت بعيني اشياء اخرى • والتمعت في عيني  
ايضا اشياء اخرى • وظلت كذلك تسير راننا امير خلفها حتى  
خرجنا الى ساحة المحطة • واتجهت في الى الباب الخارجى •  
يكانه عز على ان نفترق نون حتى كلمة وداع كما انه قد عز ان  
تصافح وان تلمس يدى يدها • وبينما انا افكر في هذا وبينما هي

تقترب من الباب الخارجى ولم يبعدهما عنه سوى خطوات حدث ما جعلنى أتوقف فجأة عن السير • فقد انقطع رباط الحذاء • وخشيت أن أفقده نهائيا فتوقفت لكى أنتزعه من الحذاء لأحتفظ به فى جيبي حتى يتيسر لى أن أوصله من جديد وأن أطيل فى عمره مرة أخرى كما أطلت فى عمره مرات سابقة • وبينما أنا كذلك رأيتها تلتفت • ولما رأتنى واقفا وقفت هى أيضا • ولما أسرعت إليها • وجدتتها متجهمة شبه مضطربة • ولما سألتها قالت وهى تنظر الى ساعة المحطة الكبيرة الدقاقة • وكانت تدق دقائقها الثلاث بعد منتصف الليل •

— ما كرهت فى حياتى شيئا مثلما كرهت دقائق الساعة •• أو رؤية ساعة •

فقلت مندمشا :

— لماذا ؟

لأنها الشيء الوحيد الذى يذكرنى بالزمن • وبالوجود • وبأننا بشر نعيش كبقية الخلق •

فاندمشت أكثر وقلت :

— وهل نحن غير ذلك ؟

فضحكت حتى كادت تستلقى •

ولكنها تماسكت • وقالت وهى تدس ذراعها تحت ابطى وتواصل السير بجانبى :

— أنا أثار خلق •

ووصلنا السير • وكنا قد بلغنا ميدان المحطة ورأينا الناس والطرافات والسيارات • وزحنا نمر بهذا كله وهى بجانبى صامتة مطبقة الشفاه كأنها تتعالى حيناً • وأنفاسى تهبط أحيانا • الى أن قطعنا شوطا كبيرا •• قطعنا الرصيف واخترقنا ميدان المحطة • وظهرت معالم الطريق الرئيسى الذى يوصلنى الى بيتى • أو بمعنى أصح الى تلك الحارة الضيقة المتفرعة من شارع الفجالة حيث البيت الصغير المتواضع • وغرقتى التى فى البسدروم • الى أن قاربنا البيت تقريبا وهى مازالت تسير بجانبى مطبقة الشفاه • لاتنظر الى شيء •• أو يلفت نظرها شيء • من معالم هذا الطريق •• حتى أئنسى ظننتها تقطن معى فى نفس الشارع • أن لم يكن

ايضا فى نفس البيت وظللنا كذلك نسير وسط الظلام الذى لا يختلف لونه فى الشوارع والحارة عن لونه فى نفس الغرفة التى اقطنها • الى ان توقفت فجأة عن السير وقالت :

- هل مايزال البيت بعيدا ؟

فاشرت لها بيدي انه قريب • واشرت لها بيدي دون ان اتكلم او اللفظ حرفا لسبب وهو ان ذكر كلمة - بيت - قد عقدت لسانى • فانا ليس لى بيت ان الذى لى هو غرفة متواضعة فى بدروم تحت الارض • واقول تحت الارض • لان هذه الغرفة كانت فيما مضى بيتا للمجارى • ولما استغنى عنه بفضل مصلحة المجارى التى تولت من الناس هذا الأمر فيما بعد •• أراد صاحب البيت أن يستقله فحوله الى مخزن • ثم أراد أن يستقله أكثر فحوله الى غرفة أو الى حجر يستطيع أن يقطنه أى جردان أو أى انسان على حد سواء • ومن ثم اطلق عليه هذا اللقب الكبير - غرفة - ولذلك فهو يختلف عن جميع الغرف التى يقطنها الناس جميعا • وأهم شيء فيها - أنها لا تمتلئ بالاثاث الا اذا دخلها الذى يقطنها • أما اذا ارتديت ثيابى وخرجت غدت شبه فارغة تماما - باستثناء الكتبة ( أو - الكرويتة - كما كانت تسميها أمى رحمها الله ) والتى لها فى الغرفة أكثر من مهنة • فهى مائدة طعام اذا وجد الطعام •• وهى سرير للنوم اذا أردت النوم •• وهى المقعد المريح • اذا أردت أن تجلس وتستريح • وباستثناء أيضا المعلقة • والمشجب المصنوع من السلك الصديء • وكذلك ترابيزة قديمة مجهولة التاريخ • غدت من كثرة تأكلها أصغر حجما من ذى قبل • ومن كثرة أثار أعقاب السجائر التى حرقت فوقها أو احترقت عليها أشبه بالوجه المصاب بالجدرى •

وكنت قد تذكرت هذا كله دفعة واحدة • وأغلب الظن اننى اطلت التفكير أيضا لأننى عندما فطنت الى ذلك التفت اليها مريما وقلت :

- هل تريدین شيئا قبل أن نذهب الى البيت ؟

- هل تقطن وحدك ؟

- نعم ••

وكانها تأكدت من شيء لأنها قالت :

- انى لابد من شيء نأكله •

- وكم عمره ؟
- أربع عشرة ٠٠
- فضحك وقال :
- اذن اشربى ٠٠ اهلا وسهلا ٠٠
- شربت كثيرا !
- اذن اشرب انا ٠٠
- وتناول الكأس وأفرغها في جوفه مرة واحدة ٠٠ ثم أمسك بالزجاجة وأفرغ منها كأسا أخرى وشربها. ٠٠ وكانت هى تنتظر اليه ولكنها كانت تبكى دون أن تدرك لانه نظر اليها وقال فى دهشة :
- هل تبكين ؟
- لا أبدا ٠٠ أبدا ٠٠
- فقال وهو يضحك ٠٠
- لا بد أنك تحبين ابنك كثيرا ٠٠
- لماذا ؟ ٠٠
- لانه تبكين ٠٠
- ولما لم تحب قال هو :
- أنا أيضا احبه كثيرا ٠٠
- ففغرت فهاها وهى تقول :
- هل أنت تعرفه ؟
- فمد يده سريعا هذه المرة الى الزجاجة وملا لها كأسا وملا له أخرى وقال وهو يناولها كأسها :
- اشربى ٠٠ اهلا وسهلا ٠٠
- فاضطربت يدها وهى تتناول منه الكأس واضطربت شفاتها وهى تساله :
- أقول هل أنت تعرفه ؟
- أعرف من ؟
- تعرف ابنى ٠٠
- فقهقه عاليا وهو يقول دهشا لهذا السؤال :
- طبعا أعرفه ٠٠ أعرفه ٠٠ أعرفه جيدا ٠٠ اهلا وسهلا ٠٠

ومد يده سريعا وهى ترتعش الى يده الاخرى التى كانت ترتعش  
ايضا ونزع منها ساعة ذهبية غالية وناولها اياها وهو يقول :

- خذى هذه الهدية اليه .. خذوها اليه .. الى ابنك .. نعم  
الى ابنك ..

- أقول هل أنت تعرفه ؟

- قلت لك طبعاً طبعاً .. وخذى ايضاً ..

ومد يده الى جيبه سريعا وأخرج قلماً ثميناً من الحبر وناولها  
اياها وهو يقول ويضحك :

- وخذى هذا ايضاً هدية اليه ..

وأدارت الدهشة رأسها فدارت بها الارض ، ولكنها تماسكت  
وأرادت أن تنطق ، ولكنه لم يمهّلها لانه راح يتلفت حواليه وكأنه  
يبحث عن شيء وهو يتمتم :

- انتظري .. انتظري .. وماذا ايضاً ؟ ..

ومرة أخرى راح يتلفت حواليه .. وفجأة وكأنه تذكر شيئاً فرح  
له كثيراً وهو يخرج من جيبه ويعطيه لها وهو يقول وما زال  
يضحك :

- خذى ايضاً هذه السلسلة من الذهب انها اليه .. الى ابنك ..  
اجل الى ابنك .. أهلاً وسهلاً ..

وأراد أن يقول لها شيئاً آخر ، ولكنه كان قد بذل مجهوداً كبيراً  
فى الضحك أتعبه الى حد فاستراح فى المقعد وأسند ظهره اليه وألقى  
برأسه فوقه وأغمض عينيه ..

وراحت هى تنظر اليه والدهشة تكاد تمسك بحواسها جميعاً -  
من أين يعرف ابنها ؟ .. وقتحت عينها ونظرت الى كل هذه الهدايا  
التى مازالت تمسك بها وازدادت دهشتها .. ورنّت فى أذنيها بعض  
الكلمات فدهشت أكثر وأكثر .. طبعاً طبعاً أعرفه .. أعرفه ..  
ولكن من أين يعرفه ؟؟ وأحست بقوة تدفعها الى شيء ، ولذلك قالت  
له وكأنها تريد أن تنهره :

- اننى أسألك هل أنت تعرفه ؟ .. ومن أين تعرفه ؟ ..

وفتح عينيه ، وكان بفضل هذه الاغفاءة القصيرة قد استعاد قواه



ولذلك نظر اليها ، ولما اعدت عليه السؤال دهش دهشة غريبة لانه  
انفجر ضاحكا هذه المرة وراح يضحك ويضحك .. ثم مد يده وهو  
يضحك الى الزجاجة التي كانت قد اوشكت على أن تفرغ ، وافرغ  
منها كاملا وشربها .. ولما مسح ذلك الشيء اللزج الذي كان على  
شفتيه فال وكأنه يقول شيئا مفرحا :

- انا ايضا عندى ولد ..

ففغرت فاما واغمضت عينيها فيما يشبه الذهول فقد كانت تتوقع  
انه سيقول لها أى شيء غير هذا .. ولما فتحت عينيها ونظرت حيناً  
اليه وحيناً الى الهدايا التي اعطاها وكانت ماتزال فى يدها قالت :

- يبدو أنك تحب ابنك كثيرا ..

فأراد أن يضحك ، ولكنه لم يقدر هذه المرة وقال :

- كما تحبين أنت ابنك تماماً .. أهلا وسهلاً ..

فأقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وقالت وهى تضحك هذه  
المرة :

- هل عندك غيره ؟

- لا هو فقط ..

فأراحت نراعها فوق كتفه وهى تقول مداعبة :

- لا بد أنه جميل جدا ..

فتألق وجهه وزادت فرحته وهو يقول لها فى طفولة :

- مثل القمر تماماً .. انظري ..

ومد يده فى جيبه وأخرج صورة لفتى فى العشرين من عمره  
جميلاً جمالاً رائعاً ، وقال وهو يمسك بالصورة فى يده وينظر  
اليها معها :

- انظري هذه هى صورته .. انظري الى عينيهِ ، البست  
جميلة ؟ ..

- جدا ..

فازدادت فرحته وازدادت طفولته وهو يقول :

- انظري .. انظري الى قوامه .. انظري الى كل شيء فيه ..  
انظري حتى الى الحذاء الذى فى قدمه .. اليس جميلاً ؟

- جدا ٠٠ جدا ٠٠

فقلت وهى تمسك بالصورة وتريد ان تأخذها منه ٠٠

- انه اجمل فتى رآته عينى ٠٠

ولما اطبق باصابعه على الصورة ولم يعطها اياها قالت :

- حفظه الله لك ٠٠

فوضع الصورة فى جيبه وهو يهز لها رأسه شاكرا ويمسك بكأسه  
ويقول :

- اشربى ٠٠ أهلا وسهلا ٠٠

فقلت وهى تمسك بكأسها أيضا :

- هل هو مقيم معك هنا ؟ ٠٠

فضحك ضحكة عالية وقال وهو يخلص الكأس من بين شفتيه :

- انه سافر ٠٠

- سافر الى أين ؟

- سافر الى بلدة بعيدة ٠٠ بعيدة جدا ٠٠

- وكيف اخباره ؟ ٠٠

- يعلمها الله ٠٠

ولما اغمض عينيه قالت :

- ألا يكتب اليك ؟ ٠٠

- بكل أسف ليس فى تلك البلدة مكتب بريد ٠٠ أهلا وسهلا ٠٠

فأدهشها هذا وقالت :

ليس من بلد فى الدنيا لا يوجد فيه مكتب بريد ٠٠

فقال وهو يضحك :

- بلد واحد فقط ٠٠ هو الذى سافر اليه أحمد منذ عامين ٠٠

فأشفقت عليه وقالت :

- ومتى سيعود ؟

- أهلا وسهلا ٠٠

قالها وهو يبتسم ومد يده التي كانت قد تخاذلت جدا الى الكأس  
التي امامه ورفعها الى ثغره ولكنها فجأة سقطت من بين أصابعه •  
فذهرت •

ومدت يدها لتناول الكأس من على الارض ولكنه قال لها :  
- اتركها •

ثم جاهد عينيه جهادا طويلا حتى فتحهما ونظر اليها وقال :  
- هيا بنا • اننى أريد أن انام •• انا متعب اليس كذلك ؟  
- لا أبدا ••

فرفع ذراعه ولكنه لم يمدها طويلا وأشار الى خارج الغرفة  
على شمال الردهة التي امامها وقال :

- من هذه الناحية تجددين الغرفة الثانية •• اننى وحدى فى  
هذا البيت •• أجل اننى وحدى منذ أن سافر أحمد •

وكانت قد نهضت فعاود النظر اليها وهو يقول :

- سأتنتظر قليلا •• فقط أشرب هذه الكأس • اهلا وسهلا •

فنهضت دون أن تنبس وغادرت الغرفة ، وسارت شمالا محترقة  
الردهة كما أشار اليها بالضبط ورأت بابا فتحتة كان هو الباب  
الوحيد الذى رآته ولما دخلت منه ردت خلفها وتمددت فوق العرش  
بملابسها ، حتى الحذاء ظل فى قدميها وأغمضت عينيها وراحت  
تنتظر • •

ومرت لحظات ولحظات •• ومع ذلك راحت تنتظر •• ومرت  
لحظات أخرى •• وأخرى بعدها • ودقت ساعة كانت فى الردهة  
ثلاثا فذهرت •• أن الساعة تشير الى الثالثة صباحا • وهى تريد  
أن تنصرف ، انها لا تستطيع أن تمكث أكثر من ذلك •• ترى هل  
سيظل هذا الرجل يشرب حتى الصباح ؟؟

ونهبضت فى تخاؤل لا حد له وراحت تجر ساقها جرا حتى  
فتحت الباب واختزلت الردهة وأيضا المر الصغير الذى بين  
الغرفتين وهى تكاد تكون مغمضة العينين • انها لا تريد أن ترى  
أحدا • ولا تريد أن ترى شيئا • أن كل أملها أن ياذن لها  
بالانصراف فقد بلغت الساعة الثالثة صباحا • ولا تستطيع أن  
تمكث أكثر من هذا الوقت • وفجأة تعثرت قدمها فى شيء ففتحت  
هينيها فيما يشبه الخوف • وما أن نظرت حتى وقفت ذاملة

يكتنفها زعر شديد • فقد رآته ملقى في الظلام فوق الأرض فاقد الوعي •• انها أبدا لم تصدق عينيها • ولذلك نظرت ثانية فأسقط في يدها وهي تقترب منه وأسقط في يدها أيضا وهي تتبينه على بصيص الضوء الخافت المنبعث من فرجة الباب وتتبين رأسه الغارق في شيء غريب • كان رأسه ملقى فوق رقعة لا يعرف لها لون • هل هي سائل لزج مخطى ينساب من الفم • أم هي دم قان ينساب من منخاريه •• وأغمضت عينيها في شيء لم تعرف له شبيها من قبل • هل هو الخوف؟ هل هو الفزع؟ هل هو الوهم؟ هل هو الحزن •• وفتحت عينيها ونظرت ثانية ولكن ما هذا الشيء الغريب الذي يلتصق تحت خده وكأنه يضع رأسه عليه • وكأنه يخفيه في هذا المكان من وجهه حتى لا يتلوث بالدماء كما تلوث أغلب الوجه •• ونظرت ثانية وتعمقت هذا الشيء وبعد جهد استطاعت أن تعرف أنه صورة صغيرة لفتى جميل في العشرين من عمره •• وجعلت عيناهما وهي تناديه ولكنه لم يجب • وهزته ولكنه لم يتحرك • وظننته ميتا فأمسكت أنفاسها • ومدت يدها وهي في هذا الرعب الشديد نحو صدره لترى هل مات حقا فتهرب • أم هو مازال حيا فتقدم له صنيعا حتى ولو كان حياتها ••

وأحس هو بيدها تقترب من صدره •• وظنها ستسرقه فحاول أن يحرك يده ولكنه لم يقدر • وحاول أن ينطق ولكنه لم يقدر أيضا • ولما لم تستطع يدها أن تتعرف الحقيقة من فوق الثياب مدت أصابعهما وفكت بعض أزرار القميص لتضع أناملها أو أذننها فوق القلب ولما أحس بيدها تقترب من صدره فعلا وتأكد من ظنه جاهد نفسه حتى تحركت شسفتاه وتمتم في توسل دون أن يفتح عينيها :

- اسرقي كل شيء •• فقط أرجوك أن تبقى لي الصورة ••  
ابقي لي أحمد ••

واغرورت عيناهما وغمرتها الدموع حتى أنهما لم تر الطريق الذي تسير فيه بعد أن غادرت المبنى •• ولما تعمزت الرؤية عليها وهي تتعثر في الطريق فتحت حقيبتها وأخرجت منديلا لتجفف به هذه الدموع التي تحجب عنها الرؤية • ولما فعلت أحست بالمنديل وهي تمسح به عينيها جافا خشنا على غير العادة يكاد يجرح عينيها • فنظرت إليه ولما تبينته من خلال شبكة الدموع التي تملأ العينين • وجدته ورقة من فئة الخمسة جنيهات كان قد وضعها لها في الحقيبة دون أن تعرف •

# دنيا



اهل قريتنا لا يعرفون عن اصلها شيئا . ولذلك  
تضاربت فيها الاقوال ، فريق يقول ان والدها كان  
بحارا عاش حياته في البحر وار' البحر هو موطنه  
الذي قضى فيه حياته ، وهو يمس مرفده الذي  
انتقلت اليه حياته ، اثر عاصفه هوجاء عصفت  
بمركبه وعصفت به معه ، وانه غامر دنياه فبس ان تجيء اليه  
- دنيا - بقليل من المشهور أو بقليل من الايام على حد سواء .

وفريق ينكر هذا ولا يصدقه ويقول عن امها ان احدا لا يعرف  
منها شيئا هي الاخرى . هل ماتت بعد ان جاءت بها الى الدنيا ،  
أم عاشت بعد ذلك طويلا وانها مازالت على قيد الحياة وان كانت  
الفتاة تجهل مكانها . أم هي التي تجهل مكان الفتاة فكلاهما واحد  
لا يغير من الامر شيئا ايضا .

وفريق آخر وهو فريق العجائز والشيوخ الذين أقعدتهم السن  
وداست عليهم مجلة الحياة فتركتهم لا عمل لهم سوى الجلوس تحت  
الجميزة وفي ظلها - ان كان لها ظل ، وينقبون في أسرار الناس  
وهم يلعبون « السيجة » ويقهقهون بصوت أجش مبجوح كأنه صوت  
السكين الباردة التي أكلها الصدا ويشدد بهم السعال ، ويضحكون  
عندما يأكل الكلب الأبيض الكلب الأسود وينتصر بذلك فريق على  
فريق ، كان انتصار الحياة عندهم هو غلبة كلب على كلب . . أما

هؤلاء فكانوا يتشككون في أمر الفتاة وكثيرا ما كان يصل بهم الشك الى حد اليقين وهو ان أم الفتاة غجرية من الغجر الذين يتزحون من الشمال وقد حملت فيها سفاحا وجاءها المخاض عندما بلغت القرية فوضعتها في زقاق من أزقتها وانصرفت دون ان تلتفت الى وراء ومن يومها الى الآن لم تلتفت الى وراء • ولذلك فهي لم تعرف حتى ان لها ابنة كما ان الفتاة لم تعرف حتى ان لها أما •

أما شباب القرية وفتيانها الذين امتلأت قلوبهم بحمية الشباب وفوته ويسيروا في الأرض مرحا يسدلون « القصة » فوق الجباه النحاسية المحترقة من وهج الشمس • ويحبون نصفها - باللاسة - البيضاء اللامعة يلفونها في احكام فوق نصف الجبين ونصف القصة ويتركون بعض الخصلات السوداء الملتصقة تروح وتجيء فوق الجبين كله وهم يحملون الفؤوس فوق اكتافهم العريضة الصدئة التي في صلاية ولون حديد الفأس تماما ويدقون الأرض بأقدامهم الثقيلة كلما فاضت عليهم القوة وزادت حمية فتوتهم • أما هؤلاء فكان لايعنيهم شيء من كل هذه الاقاويل عن الفتاة • والداها كان يحاروا وابتلعه البحر أو لم يبتلعه • أمها غجرية نزحت من الشمال أم الجنوب أم غير غجرية أصلا • ولدتها سفاحا أم ولدتها كما ولدتهم هم أمهاتهم ••

ان شيئا من هذا كله كان لايعنيهم في قليل أو كثير • كان لايرفع من نظرهم للفتاة أو يخفض منها •• ان الذي كان يعنيهم فقط هو أمر الفتاة نفسها •• أمر الفتاة ذاتها •• جمالها الرائع الذي كان يدعع عيونهم كما يدغدغ العين وهج النور في الليل •• فتنتها الصاخبة التي تعصف بهم كلما التقوا بها •• أنوثتها الملتهبة كانها الجمر •• وجهها الوضاء كاصباحة الفجر • قوامها السمهري الذي قد من فلق الصبح •• ولم يكن ذلك فقط هو الذي يورقهم أو يشغل بالهم •• وانما هناك شيء غريب آخر في عينيها لم يكن له نظير بين العيون •• أو بين الجمال •• حتى لكأن الله تعالى لم يخلقه الا في عيني هذه الفتاة فقط • ولما لم يعرفوا له اسما أطلقوا عليه - السمر - الذي كمن في الاستدارة وفي الهدب وبين الجفنين ••

كان هذا الشيء أشبه بكحلة في قلب العين تسلك الى الهدب الطويل لا لتجمعه ولكن لترسل منه سهاماً تخترق قلوب الشباب وتشويها وتجعلهم يصرخون في صمت موجه كلما مرق السمعير ذلك الشيء في داخلهم • ولم يكن الشباب فقط وانما غير الشباب أيضا حتى أولئك العجائز والشيخوخ الذين ترتعش اقدامهم وهم يسيرون على حافة



الدنيا ٠٠ حتى هؤلاء نقلوا السيجة من تحت الجميزة وانتقلوا معها الى الصفصافة الكبيرة بحضن الجسر ليروا دنيا كل يوم وهى خارجة من البحر حاملة الجرة فوق رأسها وقد أمسكت بأصابعها البيضاء الناصعة طرف ثوبها الاسود فكشفت بذلك ، ودون أن تدرى ، عن ساقين ممتلئتين بلون العاج تخطران فوق الارض وتتسللان فوق سطحها كما يخطر القمر فوق السنابل فى ليالى الصيف الواهنة ٠٠ حتى هؤلاء كانت تحرقهم النار وتشوى قلوبهم وتزيدهم تحسرا على مامضى من أيام سوف لا تعود ٠

كانت هى شأن الفتاة عند أهل القرية ٠٠ أما شأن الفتاة عند نفسها فكان يختلف عن ذلك اختلافا كبيرا ٠٠ فهى لاهية عن كل ما حولها لا تعرف من أمره شيئا ، أو هى على الأصح لا يهمها أن تعرف عنه شيئا ٠٠ لان الذى كانت تعرفه وتعيشه حقيقة هو اكبر من ذلك كله بكثير وهو بالنسبة اليها كان حياتها ودنياها بل ووجودها كله ، رغم غرابته وغرابة حتى التفكير فيه ٠ كان الذى تعرفه وتعيش به وله فقط هو أن اسمها « دنيا » وأنها تريد أن تكون دنيا فعلا وتكون دنيا حقيقية ٠٠ تريد أن تذهب الى سميتها وتتعرف عليها وتعرف حقيقتها وتحيا معها حياة الأخت للأخت ٠٠ أما لا أهل لها ٠٠ لا وطن لها ٠٠ انها نشأت كالكلب الضال فى أزقة القرية تتلصص على اللقمة وتنقب عليها بين القمامة ٠٠ أما أنها اشتغلت خادمة فى منزل الشيخ عبد الصمد ماذون الشرع ٠٠ أو فى منزل الشيخ محمود العمدة ٠٠ أو فى منازل غيرهما من الناس الى أن كبرت وعرفت نفسها ، فهذا أيضا كان لا يعينها ، كما أنه كان لا يعينها فى شيء أمر هؤلاء الشباب الذين يثقلون عليها ويقتلون من أجلها ، فهؤلاء لا وجود لهم عندها ، انها لا تكاد ترى واحدا منهم ٠ لا تكاد تعرف لهم طولا أو عرضا أو حتى لونا ، حتى هذه الرغبة الجنونية التى كانت تلح عليها بين الحين والحين نسيتها ٠٠ ونسيت معها أنوثتها ، بل نسيت حتى انها أنثى ، وقد جعلها هذا - دون أن تدرى - تنسى أو تجهل أن فى هذا العالم شيئا اسمه « الرجل » وشيئا اسمه « المرأة » وحتى لو ذكرتهما وتعرفت عليهما فسوف لا يكون من بينهما من يحقق لها أمنيتها ويستطيع أن يريها الدنيا التى تريد أن تراها ٠٠

وقد سبب لها هذا الكثير من المتاعب التى لا حد لها لان الكل كان يريد أن يغتصبها ، ولما لم يستطع كان يريد أن يقزوها ، فلما لم يستطع كان يريد أن يطردها من القرية ٠٠ وكان آخر هذه الاحداث بل لعله أعنفها فى حياتها ، حادثتها مع منصور أفندى ، ابن الشيخ



محمود العمدة ، عندما كانت تشتغل خادمة عنده فى البيت ، أو فى الدوار ، كما كانوا يطلقون على بيت العمدة ، فهو رغم أنه كان على شيء من الثقافة وتفتح الذهن والشباب المتشوف الطموح مما يجعل أجمل الفتيات فى القرية وأكثر من حسبا ونسبا تتمناه زجا ، ورغم ثراء والده ثراء ملحوظا ٠٠ رغم ذلك فقد وقع كثيره من الشباب فى غرام دنيا ، وأراد فى أول الامر - كما أراد غيره أيضا - أن يخطفها خطفا ، ظنا منه أن ذلك سهل وميسور بين عزيز مثله وذليل مثلها ٠٠ ولما استعصت عليه الفتاة وأقهرته أن الذليل هو وليس هى ٠٠ إذا به يحبها حبا جنونيا ويصر على أن يتزوجها رغم معارضة أهله وأهل القرية جميعا ٠٠ ووضع الشاب حياته فى كفة وزواجه منها فى كفة أخرى فلم يكن فى مقدور الأب الا أن يوافق خوفا منه على حياة ابنه .

وكانت فرحة الشاب فى تلك الليلة لا حد لها ، غير أنها فرحة لم يمتد بها العمر غير لحظات قصار ، وقصار جدا ، وذلك عندما فوجئ الجميع برفض الفتاة لهذا الزواج ، وأنها هى التى وضعت حياتها فى كفة والزواج منه أو من غيره فى كفة أخرى ٠٠ ولما سألها الشاب فى ذلك اعترفت له بالحقيقة ٠٠ وهى أنها تريد أن ترى الدنيا وتحظى بسميتها ٠٠ ولما أخبرها أنه فى استطاعته ذلك أسبلت مديبها الطويلين ورنّت اليه بكل ما فيها من رقى وتعايذ وسحر وقالت جادة وهى تضحك ، وتضحك معها تلك المفازة التى تعشش تحت الخد بين الفك والخال ٠٠ انه فعلا يستطيع أن يريها دنياه هو المحدودة بحدود القرية ، ولكنها تريد أن تراها خارج القرية ٠٠ تراها فى المدينة ٠٠ ولما حاول الجميع أن يقنعوها ولم تقنع ٠٠ لم يجدوا بدا من طردها من البيت ٠٠ ولم يقبلها بعد ذلك فى بيته أحد ٠٠ حتى لا يغضب العمدة ويغضب ابنه ٠٠

وخرجت الفتاة الى سطح الدنيا التى تريد لا تلوى على شيء ولا تعرف أين ستبيت ، ولا من أين ستجد اللقمة ٠٠ ولكن من حسن حظ الفتاة أن الخير مازالت جذوره باقية من ملايين السنين تنبت كما ينبت العشب فى الصحراء يضيء ويثمر ويؤتى أكله الطيب ٠٠ كذلك كان بعض أهل الخير فى القرية الذين عطفوا عليها ومدوا لها جميعا يد المعونة ولكن الفتاة أرادت ألا تكون عبئا على أحد حتى لا يطمع فيها أحد مرة أخرى ٠٠ واستطاعت بشيء من الذكاء أن تسلك طريقها منفردة لا يعاونها أحد ولا تستعين هى بأحد ٠٠ ولذلك اشترت قفصا كبيرا من الجريد وذهبت الى السوق فاشترت بعض

السلع مما لاغناء لاهل القرية عنها ٠٠ علب الدخان ٠٠ والسجائر ٠٠ وورق البفرة ٠٠ والكرملة ٠٠ والبول السوداني ٠٠ والشاي ٠٠ والعننبلى أو احسن كيف كما يسمونه أحيانا ٠٠ وغير ذلك من الاشياء المماثلة ٠٠ ووضعت كل هذا فى القفص الجريد الذى اشترته ٠٠ ومن ثم جلست بقفصها أمام مدخل حارة السقا بجوار المسجد المثل على الجرن ٠٠ وما أن عرف اهل القرية بذلك حتى تهافتوا عليها يشترون منها بضاعتهم بالقروش وسعادتهم بالنظرة ٠٠ ثم ينصرفون ويأتى غيرهم ، حتى النسوة فى القرية ممن كن يسخرن عليهما لجمالها ، كن يشجعنها ٠٠ حتى منصور أفندى ابن العمدة نفسه ورغم ما حدث بينهما ورغم أن الجرح القديم مازال حينما يلتئم وحينما ينزف الدم ٠٠ رغم هذا كان لا يشتري سجاره الا منها ولا يستريح لطريق يسلكه الا الطريق الذى تجلس فيه دنيا ٠٠ ودون أن تدرى الفتاة ٠٠ ودون أن كانت تقدر أيضا راجت تجارتها راجا كبيرا حتى أن القفص الكبير على سعته كان يمتلىء أول النهار ليفرغ مرة أخرى ويمتلىء أيضا أول الليل مرة أخرى .

ولما وجدت الفتاة أن الله قد رزقها من لدنه كل هذا الرزق أرادت أن تحرص عليه وتنميه وتزيد منه وتهتم به وتهب نفسها له ، فابتنت حائوتا فى نفس المكان أقامته هى بيديها من طين القناة المجاورة ٠٠ وبقايا الحجر والاجر الملقاة خلف الجدران المتهمة فى القرية وكذلك من صناديق الخشب الفارغة التى أتت بها تحملها على رأسها من البندر ٠٠ وأقامت من ذلك كله حائوتا كبيرا ملأته بالكثير من أصناف البقالة والزيت والسكر والحلاوة الطحينية ، وعلب السردين والبقوة والرجة والزيتون والجبن يشتى أصنافه ٠٠ وما الى ذلك من أشياء أخرى تستحب عند أهل القرية ، وما هى الا الشهور والشهور القلائل جدا حتى كانت دنيا هى صاحبة أكبر حانوت لتجارة البقالة فى قرينتنا ٠٠ وبدأت تتمرن على البيع والشراء وتتمرس فيهما وتتقنهما ٠٠ كما بدا حانوتها الجميل فى النهار ٠٠ يجمله أكثر فى الليل ذلك الصباح الزجاجى الذى يروح فى هدوء يصب شعاعه الهادى على وجهها المنور فيبرز مواطن الحسن فيه ويزيده بهجة وجمالا ٠٠ مما جعل حانوت دنيا ملتقى أهل القرية جميعا يجلسون أمامه فوق - الدكة - الخشبية فى الليل يشربون الشاي الذى تصنعه لهم دنيا بيديها الجميلتين ويشربون معه أنفاسها العطرة ٠٠ ويتملون من طلعتها التى تملأ عيونهم نورا وقلوبهم فرحة ٠٠ حتى الشيخ محمود العمدة نفسه اتخذ له مجلس العمودية أمام دكان دنيا يفصل فى قضايا الناس ويحل مشاكلهم عندها ٠٠ وكثيرا ماكان القول ماتقوله

دنيا لا مايقوله العمدة ٠٠ وكثيرا ماكانت دنيا تحل أضخم المشاكل وأكثرها تعقيدا بشئ بسيط جدا وهو ربع أو نصف أقة من الحلوة الطحينية التي اشتهرت هي بببيها دون سواها ٠٠ فكانت تعطيلها للغاضب فيرضى ، وللسامر فينام ، وللجائع فيشبع ٠٠ ولما عرفت دنيا بذكائها أن أهل القرية يحبون هذه الحلوى بالذات التي كانوا يطلقون عليها من نعومتها اسم « الفراولة » ذهبت الى البندر واتفقت مع موردها من القاهرة أن تأخذ هي امتياز بيعها في القرية ولا يبيعها سواها ٠٠ وكان اسم هذه الحلوة الطحينية حلوة البسيوني ، وهو اسم صانعها في القاهرة ٠٠ وكان المنظر الذي تسعد به دنيا كثيرا ويملا عليها حياتها فرحة وهناء ، هو منظر أهل القرية في الليل عندما يتراصون أمام الدكان ويشترون الصلوة ويروح كل منهم يأكل من ورقة في يده وهو لا يعرف بالتحديد هل هو فعلا يأكل الحلوى من الورقة التي في يده ٠٠ ويأكلها بفمه أن هو يأكل الحلوى من وجه دنيا ويأكلها بعينه .

وظل حال دنيا في القرية هكذا يسير من حسن الى أحسن ، ومن نعمه الى نعمة ، ومن ثراء الى ثراء ٠٠ ويقول البعض في القرية ان هذا قد امتد بالفئة الى سنوات طويلة ٠٠ ويقول البعض الآخر انه لم يمتد بها غير سنوات قلائل جدا حتى أسف أهل القرية على ماحدث أسفا مريرا ٠٠ فقد حدث أن مات الخواجا «مخالى» والخواجا مخالى كان من الاثرياء في قريتنا وعرضت أملاكه للبيع بغد وفاته وشهرت أرضه في المزداد العلنى فقد كانت له ضيعة كبيرة في رمام قريتنا وراح في ذلك الحين يتوافد على قريتنا الكثير من أهل المدن ومن أهل القاهرة بالذات لشراء ضيعة مخالى ومعاينتها قبل يوم المزداد ٠٠ وكان من هؤلاء الذين وفدوا لشراء أملاك مخالى في القرية رجل في الخمسين من عمره يرتدى العمامة والجلباب الصومى الذى يبدو من قدمه وراثته انه يكاد يكون الجلباب الوحيد ، وأيضا من طربوش عمامته الاحمر الذى حوله القدم الى مايشبه السواد ، وهو فوق هذا ضخم الجثة الى حد كبير ولذلك فان أنفاسه تترى دائمة بصعوبة وحشجة حتى لكانه حيوان يموت . له عينان واسعتان ولكنهما لزجتان دائما مما يجعل الذباب يتعرف عليهما سريعا . وله ايضا شارب كث مغبر وخطه الشيب لم تكن به غير بؤرة واحدة سوداء هي التي بأسفل منخاريه ، ولعل سبب ذلك هو المخاط اللزج الكريه الذى ينساب من منخاريه ويتسلل الى الشارب ويتجمع عليه حتى لتبدو شعرات الشارب من خلفه أشبه بالشروخ في المرأة . وجاء هذا الرجل يتسلل الى القرية ومعه خطاب توصية الى العمدة

من صديق له فى القاهرة ، يسأله فيه أن ييسر له مهمته • وكانت مفاجأة كبيرة للعمدة عندما عرف أن هذا الرجل بالذات هو نفسه الحاج بسيونى صاحب حلوة البسيونى الشهيرة باسمه والمعروفة فى الأسواق جميعها وفى قريتنا بالذات • وأنه هو صاحب الثراء العريض الذى يملك مئات الأفدنة غير الألوف من الجنيهات وغير مصنعه الكبير المعروف باسمه فى القاهرة وأنه جاء اليوم ليشتري ضبعة مخابلى وأنه سوف يشتريها مهما كان الثمن •

وراح العمدة يتحدث الى صيغه ويحدثه فيما يحدثه عن حلوته الشهيرة فى القرية وأيضا عن شهرة بانعتها وكيف أنها اشترت من موردها فى البندر امتياز بيعها فى القرية • وسعد الحاج بسيونى بذلك سعادة كبيرة لان بضاعته رائجة فى كل مكان •• وسعد أكثر عندما تعرف على دنيا وراح يتحدث إليها بعد أن عرف من العمدة قصتها فى القرية ورغبتها الملحة فى أن تتعرف على سميتها •

وبات الحجاج بسيونى فى القرية تلك الليلة ولكنه لم يسم ولم يغمض له جفن وأيضا لم يفكر فى المهمة التى جاء من أجلها وهى شراء عذبة مخابلى ورغبته الملحة فى استثمار أمواله •• وإنما راح يفكر فى أشياء أخرى كثيرة غير حياته وغير المال الذى قضى حياته يحبه كل هذا الحب ، وإنما راح يفكر فى الموت الذى يعيشه والعدم الذى يحياه ، وهى الخمسين سنة التى قضاها من عمره يجمع المال ويكدسه ثراء فوق ثراء • ولما جمعه وتكاثر عنده بدأ هو يتعد عنه وعن الدنيا بعد الخمسين ويترك كل هذا لمن ؟ لا يرى ، فليس له من زوج ، وليس له من ولد ، وليس له حتى من أهل يرثونه • انه مازال ينام فى نفس السرير الحديدى الاسود الذى اشتراه من ميدان الأزهر بخمسين فرشا من ثلاثين سنة لم يغيره ولم يتغير حتى فراشه ، ولم تتغير حتى حياته ، فيومه يقضى صحابته فى قلب السيرجة بين الزيت الكرية الرائحة ، والبذور العفنة ، ورائحة «الكسبة» التى لم يشم غير رائحتها طول حياته • ولا يستمتع الا لأزوين المكنة التى يديرها الموتور الكهربائى بعد أن كان يديرها من عشرين سنة حمار أسود يبدو فيها والغمامة على عينيه أشبه بالاعمى يدور حول عصاه فى الظلام • ولم يسمع غير صراخ العمال وضجيجهم وأصواتهم المختلطة حتى أن أذنه لم تعد تميز غير هذا الطنين • حتى اذا ما جاء الليل صعد الى أعلى السيرجة حيث تلك الغرف الثلاث التى لم يستعمل منها غير واحدة هى التى فى قلبها السرير الاسود الذى اشتراه من ثلاثين عاما ولم تحترق على غيره هو وصيوان أسود كبير به المال

الذى يجمعه ويضعه أكداسا فى قلبه ٠٠ حقيقة أن هذه الأكداس كبرت وارتفعت حتى غدت كالبناء الشامخ ولكن على انقراض شيء اتضح أنه أعلى منها كثيرا اسمه العمر - اسمه الدنيا - اسمه المرأة - اسمه الإبناء - اسمه السعادة •

ونظر الرجل وهو يتقلب على فراشه فى قلب الغرفة المظلمة التى يببب فيها فى دوار العمدة ٠٠ نظر الى الحائط المظلم الذى أمامه فتبدى له فى الليل امرأة شاحبة ترتسم عليها صورته وكأنه يرى نفسه لأول مرة ٠٠ فرأى شيخوخته التى تسللت له خلصة فى أول الامر ، ثم علانية بعد ذلك ٠٠ شعره المنغبر اثر الشيب الذى تنائر كما يتناثر زجاج بلورى فوق أرض سوداء ٠٠ بعض الخيوط المرئية وغير المرئية ٠٠ التى راحت ترتسم على الوجه وتتركز بالذات عند الجفنين ٠٠ ثم العيون الواسعة التى أخذت تنفلق شيئا فشيئا حتى لكان نظراتها الخابية مصباح كاد ينضب زيتة وعما قليل سينطفئ ٠٠ ثم غير ذلك أشياء أخرى كثيرة كان يفتح لها عينيه خوفا وفرقا ، أيضا ٠٠ وظل كذلك طوال الليل يفتح عينيه فيرى خوفا ، ويغمض عينيه فيرى خوفا ، الى أن فتحهما آخر الليل على شيء مريح غاية الراحة ، مطمئن غاية الاطمئنان ٠٠ تسعد له العين والنفس معا ، وكان هذا الشيء هو - دنيا - التى راحت تتبدى لعينه طوال الليل على مرآة الحائط المظلم فى قلب الغرفة ، فتثير الحائط حتى لتجعله الشمس الساطعة وتختفى فيغرقه فى لجة من الظلمات •

وهكذا ظل طوال الليل يفكر ويجهد التفكير ، ولكن ليس فى أكداس من المال يريد أن يزيدها ٠٠ وليس فى ضيعة مخالى يريد أن يشتريها ٠٠ ولكن فى أنوثة ملتهبة كالجمهر ، ووجه وضاء كاصباحة الفجر ، وقوام سمهري مشرق كأنه قد من فلق الصباح • وعندما جاء الصباح لم يذهب الى ضيعة مخالى لمعاينتها ، وإنما ذهب الى دنيا ، ولم تفكر الفتاة فى الامر كثيرا ، لأنها لم تنظر اليه كإنسان ولا حتى كرجل تقدمت به السن ودهمته الشيخوخة ، ولا حتى لثيابها رثت أم نظفت ، لذلك المسائل اللزج الذى ينساب من مخاريبه • انقطع أو لم ينقطع ٠٠ إنما عندما نظرت اليه لم ترق فيه شيئا من هذا كله ان كل جارحة فيه نظرت اليها تبنت لعينها ورقة كبيرة من أوراق النقد ، حفنة كبيرة من المال ، وليس غير المال يوصلها الى بغيتها ٠٠ وليس هناك غير هذه المركبة تقطع بها اللباسة وتوصلها الى الدنيا التى تريدها ٠٠ ولذلك عندما جاء اليوم الثانى كان الحاج بسيونى قد انتهى من كل شيء حتى ثروته جميعها التى وهبها للفتاة ، ومن ثم أخذها من يدها وغادر القرية •

وفى المدينة ٠٠ فى قلب القاهرة الواسعة لم يخلف القدر وعده مع الفتاة ٠٠ فما أن جاءت دنيا الى القاهرة وعاشت فيها بعض الشهور حتى تعرفت سريعا على سميتها التى ظلت حياتها تبحث عنها ، وتعرفت عليها فى أشياء كثيرة جدا لم تكن لتخطر لها على بال قط ٠ تعرفت عليها فى كل شيء ، فى الثياب الفاخرة التى كانت ترتديها ، فى السيارة الفخمة التى كانت تركبها ، فى المسكن الصغير فوق السيرجة الذى أحالته الى جنة ٠٠ تعرفت عليها فى الطعام الشهى الذى كانت تعده لها أفخم المطاعم ، تعرفت عليها فى النهار تطوف بأرجائها تشتري ماتريد ، وتظفر بما تريد ، وتستمتع بما تريد ٠ وفى الليل تعرفت عليها فى المراقص والملاهى ودور السينما والتمثيل والمسهرات التى كثيرا ما كانت تمتد بها حتى الصباح ٠ تعرفت على كل شيء فيها الا الرجل ، حتى الرجل الوحيد الذى تعرفت عليه فيها - وهو زوجها - كرمته ونفرت منه وجعلها هذا تكره الرجال جميعا وتنفر منهم ظلما منها أنهم لا يختلفون عنه فى شيء ٠٠ وقد أسعدها هذا سعادة كبيرة فقد كان أخشى ما تخشاه أن تعرف شيئا غير ما كانت تعرف عن الرجل ٠٠ حتى الذين كانت تنظر اليهم نظرة إعجاب أحيانا كانت سحتهم جميعا سريعا ما تنقلب فى غيبتها الى سحنة الرجل الاول والاخير الذى عرفته فى حياتها ، وكان هذا ينفرها أكثر من نفورها اذا نظرت لزوجها ٠٠ حتى ذلك العامل القمىء الابله الذى اختاره زوجها من بين عمال السيرجة جميعا ليكون فى خدمتها ٠٠ ويتردد على البيت ويتحدث اليها وتتحدث اليه ٠ والذى كان فى الليل يبيت فى الغرفة الخشبية فوق للسطح ٠٠ لم تكن لتراه أو تعرف له لونا سواء تحدثت اليه أو لم تتحدث ٠٠ نظرت اليه أو لم تنظر ٠٠ ذلك لانها كانت دائما لا تنتظر الا لنفسها فقط ٠٠ حقيقة كانت تنظر اليه أحيانا وتراه وتتعرف على سحته وذلك عندما تنهزه اذا هو صعد اليها من السيرجة بملابسه الرثة الملوثة بالزيت ورائحة البنور العفنة ٠٠ ورأت قذارته ممثلة فى صدره العارى الذى ينساب عليه زيت «الكسية» القدر الكريه الرائحة ٠٠ حتى هذا الشاب لم تفتن يوما الى وجوده اذا دخل عليها البيت سواء كان معها أحد أو كانت وحدها ٠٠ فى خلوة من تلك الخلوات التى يحلو للمرأة أن تخلو فيها لنفسها ٠٠ أم فى غير هذا من أوضاع طبيعية ٠٠ ولعل الذى شجعها على ذلك هو حال الشاب نفسه ٠٠ فقد كان حاله هو أيضا يكاد يكون حالها من ناحية نظرتها للجنس الآخر ٠٠ فهو لم يعرف امرأة فى حياته ، أو بمعنى أصح لم يكن يعرف شيئا عن المرأة ٠٠ وقد عرف عنه هذا وسط عمال السيرجة جميعا سواء فتيات أو شبان ٠٠ ولذلك

عرف بينهم بالأبله ، وبعضهم كان يغلظ له فى القول فينادى على اسمه بالتأنيث .. فقد كان اسمه مسعود . فكثيرا ، حتى الفتيات اللاتى يعملن معه فى السيرجة كن ينادينه بمسعودة .. أو مسعدة حتى دنيا نفسها لما عرفت ذلك ضحكت له .. وطربت منه ، وراحت تناديه هى الاخرى بـ - مسعدة - وكان هو لا يفكر فى ذلك أو يابه له أو يستشعر بما فيه له من مهانة . بل كان يطرب لذلك ويضحك .. ولذلك ظلت دنيا تناديه بهذا الاسم متندرة أحيانا .. وغير الحال دون أن تدري على أن تناديه جادة كل الجد . مؤمنة بمدلول اسم التأنيث عنده كل الايمان ، حتى أنها اعتقدت ذات يوم بينها وبين نفسها اعتقادا راسخا أن هذا الشاب لم يكن رجلا كالرجال وإن كانت له سحتهم وبعض صفاتهم وإن لم تكن كل صفاتهم .. وإنما هو فى الحقيقة مثلها ومثل غيرها من النساء ، ولعل هذا هو الذى قرب الشاب اليها كثيرا جدا . وجعلها تعطف عليه العطف كله وتوليه الكثير من العناية .. كانت تشتري له الثياب .. حتى الثياب التى كانت لتنقيها له كانت تحرص على أن تكون ألوانها فاقمة كثيرا مثل ألوان الثياب التى ترتديها النساء .. وكانت تغدق عليه بعض الطعام ، بل كانت كثيرا ما تقاسمه مأكلا من طعام شهى .. وكانت أكثر من ذلك تسمح له أن يراها أو يتحدث اليها وهى فى ملابس البيت . أو حتى فى ملابس النوم دون حرج من ذلك أو بأس منه .. أو مهانة فى خلق أو خروج عن تقليد .. الى أن حدث ذات صباح حادث غير مجرى الكثير من الامور .. كانت دنيا فى ذلك الصباح مازال فى ثوب نومها الرقيق المشقوق من أمام والمشقوق أيضا من خلف مستلقية فوق الفراش الوثير ، منطرفة عليه فى اغفاءة نشوى كما تنطرح السمكة عارية فوق سطح الماء تستمتع بوهج النور .. حدث أن جاء مسعود - أو مسعودة - من الخارج .. ونقر على الباب نقرا هينا ليقدم اليها الخضار واللحم وبعض الحاجات التى جاء بها اليها من السوق . أو على الاقل ليقول لها أنه جاء من السوق وجاء لها بما طلبت . وعندما عرفت أنه هو اذنت له بالدخول دون أن تظن الى ما هى عليه من وضع أو من استرخاء أو من اغفاءة بين النوم واليقظة .. وفتح هو الباب فى بساطة كما تعود أن يفتحه دائما فى بساطة .. ودلف الى الغرفة ترتسم على وجهه المعتم تلك الاشراقة التى ترتسم عليه منذ أن عطفت عليه سيدته وأولته الكثير من عنايتها الخاصة ولاسيما ما اغدقته عليه وتغدقه عليه من طعام شهى .. ولكنه هذه المرة ما أن توسطت الغرفة ، واستطاعت عيناه أن تريا كل محتوياتها حتى اضطرب فجأة

والترتمشت حواسه جميعا كمن اصيب بسهم وسقط سقط الخضار من يده واستدار سريعا واراد أن يخرج ولكنه لم يستطع أن يحرك قدميه فظل جامدا في مكانه ظهره اليها ووجهه الى الارض وشئ فيه يضطرب فترتشف معه شفتاه وتصطك أسنانه ، فاندهمت هي من الذي أصاب دهشة شديدة واستغربت وظنت أن شيئا ما كدبوس مثلا أو مسمار انغرس في قدمه العارية أو سكين جرحتها .. ولما لم تن شيئا عند قدميه سألته ولكنه لم يجب .. ولما نهرت له لكي يستدير اليها وفعل رأت شيئا غريبا جدا زاد من دهشتها فدنقت فيه فاذا بعينه محمرتين بلون الدم وينبعث منهما شعاع أشبه مايكون بالسنة الذهب يكاد يبيلغها في مكانها ويحرقها ، فظنته مريضا ، وسألته مرة أخرى عما به .. ولما كان هو نفسه لا يعرف ، فقد انفجرت السموم من عينيه ، ومن ثم غادر الغرفة سريعا ، فازدادت دهشتها ونظرت اليه وهو يخرج بل لعلها أرادت أن تنهض خلفه ولكن نظرة عارضة منها وقعت على المرأة المقابلة لها في الغرفة قرأت نفسها فيها .. وما أن رأت ما رأت حتى ذعرت ذعرا شديدا ومدت يدها في سرعة يكتنفها الخوف ويكتنفها أيضا الاضطراب وطرحت عليها الغطاء .. ولكنها منذ تلك اللحظة لم تطرح عن نفسها التفكير الذي شغلها منذ وقع هذا الحادث الى أن أصبح ذات يوم هو شغلها الشاغل وأحياتها أو هو انسانها الذي تعيشه .. حقيقة أنها لم تخاطب هذا المخلوق منذ ذلك اليوم .. وأن هي خاطبته فبقدر .. وحقيقة أخرى أنها لم تتندر معه كما كانت تتندر من قبل .. وحقيقة أخرى أنها لم تعرف سبب ذلك التحول .. وحقيقة أخرى هامة جدا وهي أنها لم تناد به بعد ذلك الحادث الا باسمه الحقيقي .. باسمه الرجل .. بـ «مسعود» وفوق كل هذه الحقائق حقيقة أخرى فكرت فيها كثيرا ، ولكن بمرارة لم تستشعرها في حياتها الا كلما فكرت فيها .. وكلما أرادت أن تبعد عنها لم تبعد بل تزداد منها قربا وتزداد بها التصاقا ، وهي ما كنه تلك النار التي تشتعل في عيني الرجل وترسل ذلك الشرر الذي يحرق .. بدليل أنه حرقها هي ؟

وفكرت في غير هذا .. فكرت في أشياء كثيرة ولكنها مؤلمة الألم له ، مؤذية الأذى كله .. ومخيفة أيضا الى حد كبير . وكان هذا خوف لا يلم بها الا كلما رأت الحاج بسيوني وتحصنت فيه .. تماما ما كان يلم بها الأذى اذا رأت مسعود أو تحدثت اليه . وحاولت أن أحرف شيئا .. تعرف لماذا هذا يؤذيها وذلك يخيفها فلم تعرف أيضا .. أن كلا منهما لا يستطيع أن يخيف أو يؤذي حتى بعوضة .. أن هذا لا عمل له طوال اليوم الا أن يملأ كرشه بالطعام وجيبه بالمال الى أن



يجيء الليل فيعطيهما هي المال تكسبه في درج « البريه » وياخذ هو كرشه الكبير ويستلقى على الفراش يزفر كالثور الذبيح .. ترسل حنجرته تلك الاصوات الخشنة المبجولة التي لا تنقطع ابدا الا اذا انقطع نومه .. وهذا ابله تافه .. احب الروائح اليه رائحة الزيت «والكسبة» والبذور العفنة الملوخة بها ثيابه دائما حتى تضج الثوب القدر على جسده فزاده قذارة فوق قذارته .. فم تخاف اذن ، وفيما هذا الاذى اذن ، او فيما الارق او هذا الجفن الذي لم يغمض منذ ذلك الحادث .. منذ أن شامت تلك العيون المنطفئة الرمضاء تتفتح فجأة على ذلك الجمر يشتعل ويرسل ذلك الشر الذي يحرق ..

ونظرت في وسط الليل الطويل الذي احتواها الى الفراش الذي تنام فوقه فرأت فيما رأت الحاج بسيوني وهو يغط في نومه يعلو كرشه الكبير وينخفض كالقربة تفرغ وتمتلئ .. والى انفه الكبير ايضا يخرج منه ذلك الصوت الكريه مختلطا بذلك السائل القدر ينساب فوق شاربيه وشفتيه فيزيده قذارة على قذارته .. وأمعنت النظر في هذا حتى لكانها تراه لأول مرة .. فخافت وكادت تصرخ في الليل لولا أنها رأت شيئا طمانها وأراحها وأثلج صدرها كثيرا ، وذلك هو وجه الحاج بسيوني نفسه الذي رآته منورا تنطبع على كل جارحة من جوارحه ورقة كبيرة من أوراق النقد ، أو حفنة كبيرة من المال ، ولما امتشعرت الهدوء وأحست السعادة تفيض عليها قامت لتستلقى على الفراش بجانبه وتغلق عينيها على هذه السعادة وتنام حتى الضحى كعادتها منذ أن تزوجته .. ولكنها ما أن نزع ثيابها وارتدت تلك الغلالة الرقيقة المشقوقة من أمام والمشقوقة ايضا من الخلف ، حتى سمعت صوتا هامسا رقيقا ينبعث من عند الباب ويختلط بنقر هين عليه ، فذعرت وخافت وأطبق عليهما الخوف فلم تنبث .. ولكن النقر الهين الخفيض على الباب والهمس الجميل من خلفه مازال مستمرا .. حقيقة فيه خوف ، وحقيقة فيه اضطراب .. ولكنه ايضا فيه عزم وفيه اصرار .. وغادرت الفراش في حذر واقتربت من الباب لتفتحه ، ولكنها اضطربت وارتعشت يدها فلم تقو على مدها ووقفت خلفه تصفي الى تلك الطرقات الخفيفة التي تطرق بابها في الليل وكانها بصيصات كلب اليف يتمسح في الباب ليفتحه ويدخل على سيده .. ولا تدري لماذا زال نومها ووقفت تصفي مرة ثانية الى تلك الاصوات الهامسة التي انبعثت الى اذنيها في الليل عذبة العذوبة كلها .. جميلة الجمال كله ، لولا اختلاطها أحيانا بزفير الحاج بسيوني الملقى على السرير يزفر كالثور الذبيح .. ومدت يدها في عزم هذه المرة وفي رضا ايضا لتفتح الباب ولكنها

تراجعت ايضا ، ولعل سبب ذلك هذه المرة ان الطرقات قد توقفت فجأة ، واستعيض عنها بصوت حلو كأنه اللمس ، أو كأنه وشوشة الزهر ، يقول :

- أنا مسعود ..

- ماذا تريد ؟ ..

- أريدك أنت ..

وتلاشى الصوت ، وتلاشى الهمس ، ووقفت هي صامتة لا تنبث تصفى الى شيئين اثنين : دقات قلب يتعالى في الليل حتى ليكاد يوقظ ذلك الرجل الضخم الجثة النائم فوق الفراش يزفر كالثور ، وبعض اصوات أخرى تختلط في أذنيها فلا تميز منها سوى صوتين اثنين كأنهما النغم في الليل يتها مسان ويتساءلان :

- ماذا تريد ؟

- أريدك أنت ..

وفجأة أحست بدوار شديد ، ودارت الأرض وكادت تسقط فوق الأرض التي تدور بها في قلب دائرة صغيرة محدودة ، هي دائرة الباب المغلق الذي تقف خلفه لولا أنها بسرعة جنونية تكاد تسبق القمض من يدما وفتحت الباب وخرجت منه بسرعة أنستها حتى أن تغلقه خلفها ..

وفي غرفة ضيقة متهمة فوق السطح ، تكس في قلبها ظلام الليل كله وايضا وحشته ، فتحت الباب ودخلت ..

وفي قلب الظلام وقفت تتلفت حوالها .. تنظر يمينا فلا ترى شيئا .. وتنظر شمالا فلا ترى شيئا .. وتتحسس الأرض بقدميها فلا تتعثر أبدا قدماها في شيء .. الى أن اقتربت من نافذة صغيرة وفتحتها فتسلل بعض الضوء ثم كل الضوء .. فاستطاعت أن ترى كل شيء في الغرفة .. وراتها خالية تماما الا من حصير من القش المتاكل ، ونصف بطانية قديمة تنبعث منها رائحة عفن متكرمة فوق الحصير .. وفوق الحصير أيضا حشية قديمة متأكلة قد برزت منها بعض نتف من القطن القديم الاسود كما تبرز تماما أمعاء كلب دهمته سبارة في الطريق .. فخافت واضطربت وخرجت سريعا تضع يديها على عينيها من الخوف .. وفي نفس السرعة ، وفي نفس الخوف واحت ثانية تهبط ذلك الدرج الخشبي القديم المتهدم والمتاكل والموصل

من السطح للمسكن ٠٠ ولما دخلت الغرفة وجدت نفسها فى جنون .  
تصرخ فى وجه الحاج بسيونى وتلكزه فى عنف حتى أخرجته من  
نومه وسألته :

— أين مسعود ؟

ولما استيقظ الرجل من نومه ومسح على عينيه ومنخاريه وشاربه  
حوقل وبسمل واستعاذ بالله من الشيطان الرجيم وهو يفتح عينيه  
الملوثتين ، وقال :

— لقد ماتت أم مسعود اليوم ، وذهب الى القرية ، وسوف  
يعود قدا ٠٠

قال ذلك ثم راح مرة أخرى فى سبات عميق ٠٠ فوقفت جامدة تنظر  
الى عينييه وهما تنغلقان شيئاً فشيئاً ٠٠ وجهه الذى بدا لها لأول  
مرة عارياً ليست منطبعة عليه ولا على أية جارحة فيه أية ورقة من  
أوراق النقد ٠٠ ولا أية حفنة من المال ٠٠ وراته كئيها مشوها أشبه  
ما يكون تماماً بمظارييف الخطابات القديمة التى نزع من عليها  
أوراق البريد وبقي مكانها معزقا مشوها يؤذى العين ٠٠ فأدارت  
وجهها سريعا وأرادت أن تبعد عينيها عن هذا المنظر الذى بدا كرها  
لعينيها كل هذا الكره ٠٠ فاصطدمت دون أن تدري بـ « البريه » ٠٠  
ولا تدري لماذا استقرت يدها على درج من أدراجها بالذات وفتحته  
وراحت فيما يشبه الجنون تضع شيئاً وتمزق شيئاً كانت هى نفسها  
لا تعرفه ٠٠ ولا تعرف لماذا هى تصنعه ٠٠

ولما جاء الصباح كان الناس فى الطريق يتجمعون حول «سيرجة»  
الحاج بسيونى يركضون خلف نتف من أوراق النقد ٠٠ بعضها ملقى  
فوق الأرض ٠٠ وبعضها يتطاير فى الهواء ٠٠ قال البعض عنها انها  
ثروة الحاج بسيونى ٠٠ وقال البعض الآخر انها حياته ٠٠

واحد فقط هو الذى عرف الحقيقة فيما بعد ٠٠ وهو شاب قسىء  
أبله ٠٠ ذهب الى القرية ليشتبع أمه ٠٠ وعاد الى المدينة ليذبح دنياه ٠





# كرايزيس

## الشخص

كرايزيس : الهة الموسيقى  
 باكيس : وصيفة كرايزيس  
 نوكريتس : كاهن المعبد والاب  
 الروحي لكرايزيس  
 مانو : العاشق

## المنظر

• جناح الهة الموسيقى في معبد الفن  
 القائم في الصحراء • حيث كرايزيس  
 والوصيفة باكيس • يسمع صخب وضجيج  
 واصوات تتعالى لا يميز منها شيء • •

كرايزيس : « في ضيق » ما هذا الصخب والضجيج الذي اسمع ؟  
 باكيس : ان عشاقك يا الهة الموسيقى يرح بهم الشوق فحجروا  
 الى معبدك ركعا وسجودا • •  
 كرايزيس : « بتفس الضيق » اغلقى الشرفة • اغلقى الشرفة •  
 وليسدل الصمت ستائره على المعبد •

باكيس : « وقد أغلقت الشرفة فابتعدت الاصوات » ان منهم يارية  
الفن من جاء من اقاصى الصحراء لـ ٠٠٠

كرايزيس : « مقاطعة » ليضطرب ٩٠٠ اليس كذلك ؟  
باكيس : وليخر ساجدا على أنغام قيثارتك ويسبح هائما على  
صوت مزمارك •

كرايزيس : « لنفسها » ويسبح هائما على صوت مزمارى ٠٠  
« يتعالى الصخب والضجيج »

كرايزيس : « ثائرة » ما كل هذا ؟٠٠ ما كل هذا يا باكيس ؟  
باكيس : لقد أزرى بهم الضنى فراخوا يهتفون باسمك سكارى •  
كرايزيس : ومع ذلك لن أعزف لهم شيئا •  
باكيس : ان لهم ثلاث ليال يهيمنون غراما •  
كرايزيس : ولى عشر أصلى من أجلهم نارا « ملقاة » ان الناس  
تكاد تحرقنى يا باكيس •

باكيس : معاذ الله ان تمسك نار يا الهى ٠٠  
كرايزيس : « هائمة » نار الشوق الى ذلك المجهول تكاد تقتلنى •  
باكيس : انها ضريبة العشاق يا ربة الفن •  
كرايزيس : « حالة » اى عشاق يا باكيس ؟٠٠  
باكيس : عشاق مزمارك يا الهى انهم يسعون الى معبدك ، كما  
تسعى الفراشات فى الليل الى معبد النور ٠٠  
كرايزيس : « ساخطة » تبا لهم • انهم يريدون واد قلبى يا باكيس •  
وقد نسوا ان انفاسه هى التى تعطر لهم أنغام الناي • •  
باكيس : « ضارعة » ليحفظ رب الارباب قلب الهة الفن ٠٠ ليحفظ  
رب الارباب قلب الهة الفن ٠٠

كرايزيس : « محزونة » ابحرم الحب على من يرتله أنغاما ٠٠ ابحرم  
العشق على من يرسله الحانا ؟٠٠ « تبكى » •

باكيس : رياء • ماذا أرى • كرايزيس تبكى ؟٠٠  
كرايزيس : لان السبيل الى الضحك أعياءا ٠٠  
« تسمع جلبة صاخبة خارج المعبد »

كرايزيس : ما الذى حدث ٠٠ ما الذى حدث ؟٠٠



**پاکیس : ساری « تنصرف »**

«کرایزیس وحدها»

**کرازیس : عجب تاناس هذه الدنيا ، يفرقون بين الزهرة والرى ،**

• ثم يطلبون أريجها العبق •

« يتعالى الصخب والضجيج »

انهم يطلبون صسوت مزمارى ، فهل اشفقوا على

القلب المدنف الصادي ٤٩

## « تعود باکیس »

•• **مسابكيس : الهن**

## کوائزس : ماذا یا باکیس ۹۰۰

**ساکیس : نوکریٽس • ڪاھن معبدڪ وحافظ اسرارڪ ٻڌمسم ڦي**

• **المثول بين يدي الهة الفن**

**كرايزيس : نوكرتيس • يا له من كاهن نرب اللسان جليل الخطر •**

ماذا يريد مني هذا الدائمة ٩٠٠

• **بساكيس : المثل بين يدي الهته**

• **تکرایزیس : لیڈر**

«تنصرف باکیس ویدخل الکاهن»

**الكاهن : ليرم زيوس الاعظم الهة الفن ويحفظها** \*10

کرایزس : تحیاتى اليك يا ابي ..

**الكاهن : نصيات كاهن المعبد الى الهته .٥٠**

**کراپزیس : ماندا وراک یا ابی ۴۰۰**

**الكاهن : هيبد فنك يا ربة الفن\* لكانى بهم حول معبدك بتزاحمون**

•• كالوچ المصطفیٰ ••

**کراویزیس : لهم تحياتي .••**

**الكاهن : لقد اقتحموا ساحة المعبد ..**

### کراچی : ماذا پیریتوں ۹۰۰

**الكاهن : صوت مزمارك •**

**کرایزیس : صوت مزماری ؟**

**الكاهن : أجل ..**



- كرايزيس : ماذا يصنعون به ؟؟
- الكاهن : « دهشا ، ماذا يصنعون به ؟؟ »
- كرايزيس : أجل يا أبى ماذا يصنعون به ؟؟
- الكاهن : يغنون به قلوبا جياعا ، ويروون نفوسا عطاشا ، انه  
يا الهى لارواحهم غذاء سماوى ، ولنفوسهم شراب زلال .
- كرايزيس : لم تعد هى يا أبى رغبة الى العزف ، لقد هانت نفسى حتى  
انفام مزمارى ..
- الكاهن : « دهشا ، معاذ الله ، ماذا اسمع من ربة الفن ؟؟ »
- كرايزيس : الصدق ..
- الكاهن : « مأخوذا ، الصدق ! »
- كرايزيس : أبى أنصت الى ..
- الكاهن : جوارحى اذان صاغية ..
- كرايزيس : أتحنى ؟؟
- الكاهن : وهل لا يحب الكاهن كهنوته ؟
- كرايزيس : أتتبعنى ؟؟
- الكاهن : وهل لا يتبع العابد معبوده ؟؟
- كرايزيس : أنزل من عليائك .. وأهبط من سمائى ، لنعيش لحظة  
فى الحقيقة ..
- الكاهن : أى حقيقة يا ربة الخلود ؟؟
- كرايزيس : حقيقة الحياة ، وسر الوجود ..
- الكاهن : أنت حقيقة الحياة ، وأنت سر الوجود .. أنت عطر  
الدنيا ، وعبير الخلود ..
- كرايزيس : « ساخرة ، أنا ؟؟ »
- الكاهن : أجل ..
- كرايزيس : أنا من يا أبى ؟
- الكاهن : كرايزيس الهة الموسيقى ..
- كرايزيس : اننى أريد كرايزيس المرأة ..
- الكاهن : « مأخوذا ، رياه ماذا اسمع .. »
- كرايزيس : أراك غضبت يا أبى ، ألم تقل بأنك تحبنى ؟؟

- الكاهن : بلى ولكن ..
- كرايزيس : « مقاطعة ، أبى . اتعقب الزهرة ان ظمىء الفصن ٩٠٠ »
- الكاهن : كلا ..
- كرايزيس : أيجرى النهر ان امتنع المطر ٩٠٠
- الكاهن : مطلقا .
- كرايزيس : اتعزف القيثارة ان انقطع الوتر ٩٠٠
- الكاهن : البقة .
- كرايزيس : اتترى الانفاس ان نضب القلب ٩٠٠
- الكاهن : حاشا .
- كرايزيس : لماذا اذن حرمتك الحب ؟
- الكاهن : « ذاهلا ، ماذا اسمع من كرايزيس الخالدة ؟
- كرايزيس : اخالدة أنا يا أبى ٩٠٠ .
- الكاهن : خلود زممارك الذى يشنف اذان الزمن .
- كرايزيس : وهل يبقى زممارى ، ويبقى الزمن ٩٠٠
- الكاهن : يبقى زممارك ، ويبقى الزمن .
- كرايزيس : وتبقى أنغامى ٩٠٠
- الكاهن : ما بقيت كرايزيس الخالدة .
- كرايزيس : « ملتاعة ، وهل يبقى العدم ٩٠٠ »
- « يسمع صخب الجماهير يتعالى خارج المعبد ،
- الكاهن : الهى . عشاق زممارك يكاد الضنى يقتلهم .
- كرايزيس : دع حديث العشاق يا أبى .
- الكاهن : كيفيا ربة الفن . ايدع الزهر انفاسه ؟
- كرايزيس : حرام على الزهر ان يقطفه مكرم .
- الكاهن : تعنين أزهارك يا الهى ٩٠٠
- كرايزيس : أعنى الحياة يا أبى .
- الكاهن : انها فى لحن يخلده الدهر زممارك .
- كرايزيس : « هائمة ، لئن شقى القلب فلا رجع الكون صدق أنغامى .
- الكاهن : « ثائرا ، رباه ماذا اسمع .. رباه ماذا أرى .. انك
- تثيرين سخط رب الارباب فى السموات العلى .

- كرايزيس : ايثير رب الارباب ان يطاع القلب ٩٠٠  
الكاهن : لانه الموت من غير ان تدري •  
كرايزيس : الموت ٩٠٠  
الكاهن : اجل •  
كرايزيس : احبب به ان كان يشفى جراحتي •  
الكاهن : وعشاقك ؟ رياه ان الارض تميد بي •  
كرايزيس : وهل مادت الارض بعشاقى ٩٠٠  
الكاهن : بل حملتهم اليك رجلا وركبانا •  
كرايزيس : فلماذا هي تميد ان عشت امرأة ٩٠  
الكاهن : اى امرأة تعنين يا الهى ٩٠  
كرايزيس : « ثائرة » كرايزيس اعنى يا ابي •  
الكاهن : « هانجا » رياه ماذا اسمع وماذا اقول • الهة تائم ؟  
كرايزيس : ما الحب يا ابي اثم ولا عار •  
الكاهن : ان اقترفته « فنانة » فهو الضلال والاثم والعار •  
كرايزيس : من قال ذلك  
الكاهن : رب الارباب •  
كرايزيس : انه الدنيا بما رحبت •  
الكاهن : « ثائرا » نزغات طيش يوقعها على العقل شيطان •  
كرايزيس : بل ممسات قلب ترجعها على الشفاء فيثار •  
الكاهن : اوهام تودى بالفن والقيثار •  
كرايزيس : انها حديث القلبى •  
الكاهن : « حانقا » حديث القلب غدار •  
كرايزيس : يا لك من ظالم يرى الغدر فى صفاء الجدول الجارى •  
الكاهن : بل فى عباب ليس له من قرار •  
كرايزيس : لئن كان قلبى مغرقى ، فالبحر مسكنى اذن ، والقاع  
دارى ••  
الكاهن : انه الفناء •  
كرايزيس : احبب به من فناء ••

الكاهن : « حانقا ، انه النار .. انه الجحيم استعر ، انه التمرد  
على رب الارباب »

كرايزيس : ليس بضائري أن أكون في العصاة ..

الكاهن : « ذاهلا ، اتعصين الاله ..؟ »

كرايزيس : لم أعصه .. ولكنه صداح يبغي الحياة »

الكاهن : رياه ، ما هذه الصواقي التي تقرع أذني .. الهة  
تطيع القلب ..؟ »

كرايزيس : « منفجرة ، هبني أطعت القلب » فما الذي يحدث ..؟ »

الكاهن : تنور الآلهة »

كرايزيس : فان ثارت ..؟ »

الكاهن : حلت اللعنة »

كرايزيس : فان حلت ..؟ »

الكاهن : زلزلت الارض .. واندكت معابد فنونها »

كرايزيس : « ساخطة ، فان حدث ..؟ »

« تقرع أجراس المعبد قرعها خفيفا »

الكاهن : « مرتعشا ، رياه قرعت أجراس الغضب .. قرعت

أجراس الغضب .. لقد أثرت سخط الآلهة ياربة الفن ..

رياه .. رياه .. الرحمة يا زيوس »

« تقرع الاجراس »

الكاهن : « مبتهلا ، الرحمة يا زيوس »

كرايزيس : « خائفة ، أبيع كن عوني وكن سندی .. ادع لي رب

الارباب .. »

« تقرع الاجراس »

الكاهن : « راكعا ، ايه يا رب الارباب .. ايه يا زيوس الاعمم »

أفقر لآلهة الفن هذه النزوة الدنيوية .. هذه الذلة

الانسانية .. أمالك يا زيوس بحق عرشك القدسي ..

بحق اسمك الذي في السماء .. وظلك الذي في الارض

.. أن تحفظ المعبد .. وتبارك الهة الفن »

« تقرع الاجراس »

الكاهن : انها الدنيا يا رب الارياب .. املت عليها هذا الذي اثار  
سخطك ..

« تقرر الاجراس »

الكاهن : اثار غضبك .. ارفع يا زيوس هذا المسخط .. ان الهة  
الفن قد اثم تفكيرها .. قد ركبت عقلها ..

« تقرر الاجراس »

كرايزيس : « وجلة » التوبة .. التوبة .. يا زيوس .. التوبة لمن  
تاب .. والمغفرة لمن انااب ..

« تقرر الاجراس »

الكاهن : انها تخر ساجدة اليك يا زيوس تسالك الصبح والمغفرة  
.. ان مزارها الخالد يرثي التوبة انغاماً والحناناً ..  
« تعزف كرايزيس على القيثارة فتكف الاجراس »

كرايزيس : « بعد ان عزفت لحن التوبة » اغفر زيوس يا ابي ..  
اصفح رب الارياب ؟؟

الكاهن : « فرحا » لقد كفت اجراس الغضب .. حمدا لك يا زيوس  
حمدا لك يا زيوس ..

كرايزيس : ابي .. اين عشاقى ؟؟

الكاهن : حول المعبد يبتهلون من اجلك ..

كرايزيس : لتفتح الشرفة ، فقد هفا القلب لاحبابه ..

الكاهن : بل تاب العقل الى رشده ..

« على اثر افتتاح الشرفة يسمع الصخب عاليا »

اصوات : تحيا الهة الفن ..

اصوات : ليحفظ زيوس معبد الفن ..

اصوات : ليرع رب الارياب كرايزيس الخالدة ..

« كرايزيس تحيي الجماهير بأن تعزف قطعة  
موسيقية رائعة » ينتهي العزف تدريجاً وعلى  
اثر الانتهاء تسمع مهمة الجماهير تتلاشى ..

الكاهن : ارايت الى عشاقك كيف ينصرفون سكارى ؟؟

كرايزيس : « حاملة » ورايت كيف يحنو العاشق على معشوقه  
نشوان ..

الكاهن : وكيف يرجع همس الشفاء انغام الحانك ؟

- كرايزيس : « سابعة ، ورايت كيف يتأود الغصن ويتثنى هيمان »  
الكاهن : وكيف كان يصفى النسيم خاشعا ؟؟  
كرايزيس : ورايت كيف ترف الامانى .. وكيف تخضب القبل خدود  
المذارى ؟؟؟
- كم هى الحياة جميلة يا أبى ..  
الكاهن : حياة فنك يا الهة الفن ..  
كرايزيس : حياة الناس يا أبى ..  
الكاهن : أجمل ما فيها انغام قيثارك ..  
كرايزيس : « لنفسها ، انغام قيثارى ؟ »  
الكاهن : أجل .. انها للروح راح ، وللنفوس ريحان ، انها للعالم  
كأس ، ودين ، ورحان ؟
- كرايزيس : « محزونة ، لئن واد الفن قلبى .. فلا كان .. »  
الكاهن : ماذا تقولين ؟؟؟  
كرايزيس : « باكية ، أه لو تعرف .. »  
الكاهن : أتبكين ؟؟؟  
كرايزيس : من جرح يتنذى ..  
الكاهن : انتألين ؟؟؟
- كرايزيس : من سهم أصاب القلب ، قتال ..  
الكاهن : « أى سهم تعنين ؟ »  
كرايزيس : سهم على القلوب دوار « تبكى » ..  
الكاهن : « ضارعا ، لتحرس عناية السماء قلب الهة الفن ..  
لتحرس عناية السماء قلب الهة الفن .. ساهب الى  
الهيكل وأصلى من أجلك .. »
- كرايزيس : « باكية ، أبى .. »  
الكاهن : « وهو يتلاشى ، ساهب من أجلك .. ساهب من أجلك .. »  
كرايزيس : « منفجرة ، أبى .. أبى .. »
- « تنشج نشيجا متواصلا .. لحظة صمت يسمع  
أثرها صوت قيثار ينبعث من مكان سحيق ، .. »  
« يقترب العزف »  
« ما أجمل هذا الصوت .. ايها المجهول الذى

يقتلنى الشوق اليه .. لكم يهفو القلب الى طلعتك  
« يقترب العزف » ..

لكانى به عصفور يغرد على أسوار معبدى ..  
سأدعوه ، سأطل عليه من الشرفة ..  
« تطل من الشرفة فتردد مأخوذة »  
رباه أبشر هذا الذى أرى .. لكانى به القمر  
يسطع نوره فى عيني ..  
« يقترب العزف »

أولاه ما لقلبي يهفو اليه .. لكانى به رسول الى  
القلب مبعوث ..  
« يقترب العزف »

أيها الملاك .. أيها المخلوق من عطر وشذى ..  
ما لقلبي رنحته رؤيتك .. أسكرته عينك ..  
« ذاهلة » ، أيها القلب ما لدقاتك تترى ٩٩٠٠  
ما لأجنتك تصفق فى المضلوع ٩٩ مالك ترقص  
مخموراً بين جوانحي ٩٩٠٠  
« يقترب العزف جدا »

أنه يقترب .. انه يقبل .. اقترب .. أقبل .. أقبل  
« يعلم الصوت فجأة » .. ثم يسكت ، ويظهر مانو  
من الشرفة متشحا بنور القمر ويسات الفجر  
التي تلف جسده العارى ..

هسانو : ملوا غانية الدنيا ومفتان الوجود ..

كرايزيس : « ضارعة » بريك ابتعد .. لا .. بل اقترب ..  
أقبل ، أقبل .. ولكن لا .. لا ..  
« لحظة صمت »

كرايزيس : أيها الزائر الذى هيج كامن الشوق ، بريك قل من انت ؟  
هسانو : عبد يصبر الى معبوده ..

كرايزيس : لنفسها ، ترى من العايد ومن المعبود ؟ اليه ،  
ما اسمك ؟ ..

هسانو : مانو به الضنى الذى .. به الغرام أضر

كرايزيس : « خائفة » وما الذى تريد منى .. بريك قل .. ما الذى  
يقع بك الى ٩٠٠٠

هسانو : الحب ..

- كرايزيس : الحب ٩٠٠  
 مائو : أجل ٠٠  
 كرايزيس : « مخاطبة نفسها » وماذا تريد مني أيها الحب ٩٠٠  
 مائو : براء قلب يشكو جراحاته •  
 كرايزيس : أيشفى القلب ٩٠٠  
 مائو : قبلة منك تشفيه ٠٠  
 كرايزيس : قبلة مني تشفيه ٩٠٠  
 مائو : وتأسو جراحاته ٠٠  
 كرايزيس : « حالة » وتأسو جراحاته ٩٠٠  
 مائو : وتعيد له ابتساماته ٠٠  
 كرايزيس : وتعيد له ابتساماته ٩٠٠  
 مائو : بل ترد اليه دنياه ٠٠  
 كرايزيس : ما الدنيا ٩٠٠  
 مائو : قلبان يتحابان ٠٠  
 كرايزيس : ما الحياة ٩٠٠  
 مائو : زوجان يتعانقان ٠٠  
 كرايزيس : ما الخلد ٩٠٠  
 مائو : شفتان تلتقيان ٠٠  
 كرايزيس : ما الفن اذن ٩٠٠  
 مائو : بلاحب ٠٠ وهم تردده الشفاء •  
 كرايزيس : بلاحب ٠٠ وهم تردده الشفاء ٩  
 مائو : بل قلب تعوزه الحياة ٠٠  
 كرايزيس : « صارخة » خذني الى احضانك ٠٠  
 « تقرق الاجراس قرعا مضيئا »  
 كرايزيس : « خائفة » لنهرب ٠٠  
 مائو : الى أين ٩٠٠٠  
 كرايزيس : « بأعلى صوتها » الى الحياة ٠٠ الى الدنيا ٠٠ الى  
 الخلد ٠٠٠



« تقرر الاجراس قرعا مدويا »  
« يظهر الكاهن وهو يهدر صارخا »  
الكاهن : زياه .. لقد حلت اللعنة .. لقد حلت اللعنة .  
« يسمع دوى تحطيم المعبد »  
الكاهن : «مجنونا» أيتها السماء .. أيتها السماء ان المعبد يتحطم  
.. « بأعلى صوته » لقد ماتت كرايزيس .. لقد ماتت  
كرايزيس ..  
« يسمع صوت مانو وكرايزيس وهما يبتعدان »  
مسانو : ان الاجراس تدق ايذانا بتحطيم المعبد ..  
كرايزيس : « معانقة » بل تدق ايذانا بمولد امرأة ..





## في هذا الكتاب

صفحة	
٥	● يحدث في الليل فقط
٢١	● ضياع
٢٩	● يسمونه القتي
٥٢	● بلغ القطار نهايته
٦٩	● اسمى عائشة خليل
٧٩	● ميسارة
٩١	● املا وسهلا
١٠٢	● دنيا
١١٩	● كرايزيس

## كتب المؤلف

الضباب	:	مجموعة أقاصيص	طبعة أولى
هتاف الجماهير	:	"	"
يوم الثلاثاء	:	"	رابعة
آثار على الشفاء	:	"	ثالثة
أرض الخطايا	:	"	خامسة
نساء قى حياتى	:	"	خامسة
امراة العزيز	:	"	ثالثة
قلب فى لبنان	:	"	ثانية
طريق الخطايا	:	"	رابعة
ساحر النساء	:	"	ثانية
اشياء لا تشتري	:	فاز بجائزة الدولة فى القصة العربية ووسام الفنون من الدرجة الاولى	
امراة غير منومة	:	مجموعة أقاصيص	طبعة ثانية
ماذا النوع من النساء	:	"	رابعة
ضباب امراة	:	رواية طويلة	ثامنة
ست البنات	:	"	ثانية
سنوات الحب	:	"	ثانية
الأبواب المغلقة	:	"	أولى
شقة فى الجيزة	:	"	أولى
ثم لا شيء	:	"	أولى
يحدث فى الليل فقط	:	مجموعة قصص	أولى

## صدر من كتاب اليوم

- خواطر واحاديث ..... احمد حسن الباقورى
- فنان فى باريس ..... فتوح نشاطى
- بلاغته .. خلق الله ..... آيس منصور
- النساء لهن اسنان بيضاء ..... احسان عبد القدوس
- ايام لها تاريخ ..... احمد بهاء الدين
- الفاضبون ..... كامل زهيرى
- مصرى فى فيتنام والصين وكوريا ..... احمد حمروش
- صور مقلوبة ..... احمد رجبى
- القمر فى انتظارنا ..... مجدى نصيف
- ام كلثوم التى لا يعرفها احد ..... محمود عوض
- رجل من طين ..... سعد مكائى
- حقيية فى يد مسافر ..... يحيى حقى
- ليلة نام فيها الشيطان ..... محمد التابعى
- القرآن فى شهر القرآن ..... د. عبد الحليم محمود
- الكاس الاخيرة ..... ابراهيم المصرى
- لست مسيحا اغفر الخطايا ..... محمد زكى عبد القادر



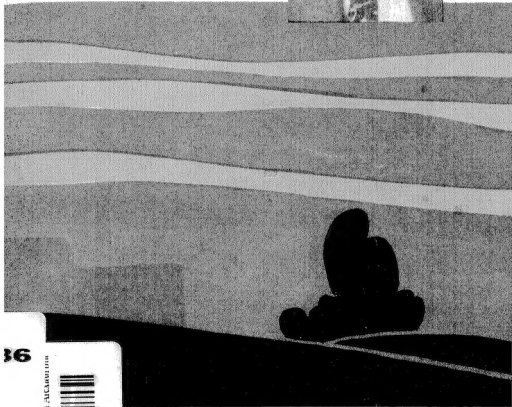
كتاب اليوم القادم



# طويل يارن

بقلم : عبد المنعم الصاوي

الكتاب الذي أهده مؤلفه إلى  
السيدة أم كلثوم



36

DIJONNETE AVCAARDIEN



0230857

من السهل أن تتخلى أمامك امرأة ، حتى ولو كان  
شريكه ولكن أبدا ليس من السهل أن يتخلى أبدا  
من قلبه .. حتى ولو كان غير شريكه ..  
إن النساء التي نلتقن فيها سيئات الدنيا ، هي الناجيات  
الواقعة إلى التور .. في اللحظات التي تتشوق فيها  
رؤيتك ، لكننا أبدا لن نلتقن .. وأيضا لن نراه  
إننا إن رأيناه نكون قد انتهينا ، لأننا نكون قد أرتو  
ومن سوء الحظ أن .. التور .. دائما .. سراب .. أن  
دائما لا وجود له ..  
من أجل هذا .. التور .. القوة الثانية .. أن لا  
الأولى هي التي نتفكك للحصول على الشيء .. أما  
الثانية فهي التي نبتعد عنه .. أنها أبدا لن نلتقن نرا  
وإن رأيناه فلما نراه الأعمى .. نراه في الظلام .. نر  
في الليل فقط  
وهذا هو الكتاب .. وهذا هو عنوانه .